مؤسسة القديس أنطونيوس
مركز دراسات الآباء



دراسات آبائية
٧

# تعاليم آبائية
## في
## موضوعات روحية واجتماعية

للبروفسور خريستوس كريكونيس

الأقمار الثلاثة
القديسون باسيليوس الكبير وغريغوريوس الثيولوغوس ويوحنا ذهبي الف

١٩٩

مؤسسة القديس أنطونيوس

مركز دراسات الآباء

دراسات آبائية

٧

# تعاليم آبائية

# في

# موضوعات روحية واجتماعية

للبروفسور خريستوس كريكونيس

استاذ اللاهوت الرعائى

جامعة تسالونيكى - اليونان

اسم الكتاب : تعاليم آبائية فى موضوعات روحية واجتماعية

اسم المؤلف : بروفسور خرستوس كريكونيس

اسم المترجم : مركز دراسات الآباء

اسم الناشر : مؤسسة القديس انطونيوس

٨ ش اسماعيل الفلكى - محطة المحكمة - مصر الجديدة

ص.ب ٥٦٤٠ ت : ٢٤١٤٠٢٣ - ٨٣٦٣٨٩

اسم المطبعة : دار يوسف للطباعة

٢ ش المدارس المليحة حدائق القبة القاهرة

ت : ٤٨٢٧٠٧٤ - ٤٨٢٣٥٧٨

رقم الايداع : ٢٧٩٢ لسنة ١٩٩٦

الترقيم الدولى: 977 - 5057 -17 -5



صاحب الغبطة والقداسة

**البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث**

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

# هذا الكتاب

يحتوى علـى أربعـة محـاضرات للبروفسـور خريسـتوس كريكونيس ألقاها أثناء زيارته لمصر فى الأسبوع الأول من أبريل ١٩٩٥م .

# السـلام
# عند الأقمار الثلاثة
## ( القديسون باسيليوس وغريغوريوس وذهبى الفم )

**للبروفسور خريستوس كريكونيس**
**استاذ الآباء بجامعة تسالونيكى**
**ترجمة ناجى إسحق حنين**

أصارحكم القول أنني قد شعرت بالحرج في أن أتعاطى مع موضوع بهذه الحساسية والذى يشغل إنسان اليوم وهو موضوع " السلام" ولكنى أقول كما قال غريغوريوس اللاهوتي :-

*" إن الإشتياق الصادق يفك عقدة اللسان وهذا يجعلني أن أفحص ناموس البشر بناموس الروح وأعطى الكلمة للسلام "* (١)

يكتشف المرء من خلال دراسة تاريخ البشرية أن الإنسان على مر العصور آشتاق دوماً بكل جوارحه إلى السلام وتُعد هذه الرغبة المُلحة إلى سلوك دروب السلام من أهم وأعمق رغبات النفس البشرية وبخاصة من هم فى عمر الزهور والشباب ، ولقد عبر الناس عن رغبتهم فى السلام بطرق متنوعة لعل أهمها وأبسطها وأقربها منالاً هو الحديث والمناقشات

---

(١) غريغوريوس اللاهوتى : حديث عن السلام BEP ٥٩ ١١ ٧٠- ٩ وأيضاً "القديسون فى الحرب والسلام" . نصوص مختارة ليوحنا كوستوف إصدار الخدمة الرسولية أثينا ١٩٨٤ .

عن السلام. وعلى كل حال فان مجرد الحديث عن السلام لايكلف شيئاً ولا يكلف أحداً بشيء ، الأمر الأهم هو أن تقترن هذه المناقشات عن السلام بأفعال تُؤدى ، وليس أى أفعال بل أفعال البر والعدالة.

ولعل غياب هذه العدالة يفسر لنا اليوم معاناة البشرية ونحن نرى إنتشار الحروب والصدامات من حولنا وهذا يشكل تناقضاً للسلام وضغوطاً على العدالة وإنتشارها وهذا لا يلغى الجهود الصادقة من هنا وهناك حتى وسط الحروب والصراعات لكى يعم السلام .

وهكذا نرى أن السلام لم يكن يوماً يمثل الحالة الدائمة للعلاقات البشرية وحتى حيثما حل السلام لم يكن أبداً سلاماً بريئاً بلا عيب وذلك لأن البشر أو بمعنى أصح الخطيئة السائدة لم تترك لسوء الحظ نعمة السلام تدوم وحيث وجدت هذه النعمة فرصة للازدهار كانت ضئيلة ويشبه حال السلام بنبات غض حكمت عليه الأقدار أن ينمو فى تربة ، بلا ماء يرويه ولا شمس تدفئه .

والمأساة تكمن فى أنه بالرغم أن السلام هو " قضية الجميع"(٢) أى أنه يُهم الكل وأسمه يُسمع فى كل مكان إلا أن السلام لا يوجد فىأى مكان (٣) وانعدام السلام يعود إلى سببين رئيسيين:

---

(٢) باسيليوس الكبير ( فى المزامير ) يقول : ( إن السلام يهم الكل ليس فقط العسكريين بل الفلاحين والتجار).

(٣) انظر فوسكاس : السلام أثينا ١٩٨٧ فقد اعتمدنا في موضوعنا على هذا المرجع

**الأول** : نتيجة للسلام الداخلى الذى يعم النفس ، نفس كل إنسان وأن تحقق الأول قائم على تجذر الثانى فى كيان كل إنسان .

**الثانى** : أن العالم تجاهل بل وأحتقر الفضيلة كأساس لأقتناء السلام وإنتشاره .

## + السلام الالهى وعالمنا المعاصر : -

البشر فى كل جيل وخاصة فى جيلنا هذا تميزوا بالتمرد والعناد وانكر الناس وتجاهلوا الينبوع الوحيد للسلام وهو اللّه ، لقد ألّه البشر أنفسهم ووضعوا رجاءهم فى قوتهم الذاتية وانطلقوا من هذه الذات ليناقشوا قضية السلام وهم فى الواقع لا يؤمنون بالسلام ولكن يتظاهرون بأنهم يرغبونه ، ولعل هذه الأنانية المفرطة والبعيدة عن مراحم الله لا تعطى الفرصة للسلام أن يسود علاقات الناس فى العالم أجمع .

ولهذا فنحن نعاني لأننا نحاول بطرق مزيفة ونجاهد بوسائل كلها رياء والنتيجة الواضحة هى الحروب التى لا يحصى عددها سواء حروب محلية أو قومية وأهلية ، وهذه الحروب تسود فى القرن العشرين الذى خرج لتوه من حربين كونيتين ولم ينحسر بعد خطر الحرب النووية والتى تهدد ليس فقط السلام بل بإفناء كوكب الأرض بجملته .

تصوروا معى أن هذا الخطر الجاسم على صدورنا جميعاً وهو احتمال أن يختفى كوكبنا ، لا يحرك لنا ساكناً ولا يحثنا أن نواجه هذه الخطر معاً أنه حقاً أمر غير مفهوم ، أنها حالة أنفصام فى الشخصية ويزداد الأمر مأساوية إذا نظرنا حولنا اليوم فسنجد عشرات الحركات الداعية للسلام

والرافعة لشعارات تدعو للسلام بدون أى نتيجة عملية تعود على العالم بالسلام ، السلام الذى يبقى حلماً صعب المنال .

وكما هو معروف لنا جميعاً فأنه قامت على مر العصور أو فرضت نفسها حركات سياسية واجتماعية والتى طبقت مبادئها الخاصة فى الحكم ومن خلال برامج هذه الحركات حاولت أن تحل التناقضات الاجتماعية القائمة ولكن جاءت رياح النتائج بما لا تشتهيه سفن الآمال والمحاولات . وذلك لأن القضايا الاجتماعية الشائكة كانت تظهر و لا تجد لها حلولاً عادلة فينتج عنها الظلم وفى كثير من الأحيان تؤدى الى الصدامات المسلحة وإراقة الدماء .

وهذا يعود بالطبع إلى أن القادة السياسيين وحكام الشعوب لم يريدوا أو لم يستطيعوا أن يطبقوا فى نظام الحكم والحياة اليومية المفهوم المسيحى الصحيح للعدالة الاجتماعية وإزالة الفوارق بين الناس .

## + المسيحية والمجتمع :-

المسيحية لا تفرق بين الناس داخل الجماعة الواحدة ، التفريق الوحيد الذى تعرفه المسيحية هو بين الأتقياء والأشرار ، ولكنها وهى تتعاطى شئون الحياة تحاول أن تؤثر فى مسار الأمور أحياناً سلباً وأحياناً إيجاباً وهى لا تتجاهل الواقع الذى لسوء الحظ هو واقع فوارق طبقية .

ولهذا أخذت المسيحية بمجرد ظهورها ومازالت تأخذ موقفاً من كل الظواهر السائدة فى المجتمع وخاصة من موضوع السلام .

## + الأقمار الثلاثه وقضايا الإنسان وقضية السلام :-

قد يتساءل البعض : ماذا يمكن أن يقولوا لنا الأقمار الثلاثه عن موضوع بالأهمية الاجتماعية التى لموضوع " السلام " ؟ وذلك لأنهم كانوا أناس على قدر من الأهمية ولهم مكانه فى الكنيسة وخاصة فيما يتعلق بالعلم ولهذا فبالرغم أننا نُعيد لهم كرعاة للآداب إلا أن القضايا التى عالجوها كانت فى أعماقها قضايا كنسية ولاهوتية .

وتظهر الحلول التى قدمها هؤلاء الآباء لمشكلات عصرهم أنهم إنشغلوا حقاً بقضايا الناس الروحية والفكرية والمشاكل الميتافيزيقية ولكن لم ينحصر عملهم فقط فى هذا المجال .

وهذا يبدوا من كتاباتهم سواء كانت عظات ، أو رسائل ، أو مقالات ومن خلال جهادهم اليومى ندرك أن الأقمار الثلاثه انشغلوا بقضايا المجتمع وحققوا نجاحا فى هذا المجال وهذا راجع لأنهم آمنوا وعلموا بالطبع أن حياة البشر على الأرض هى وسيلة فى خطة عناية الله بالبشر وأن الوصول للحياة الأبدية يجب أن يسبقه حياة محبة لله فى وسط هذا العالم .

الأقمار الثلاثه ، باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتى ويوحنا ذهبى الفم ، هم المعلمون الكبار للكنيسة الأرثوذكسية ، هم أضواء منيرة تأتى من اللاهوت ، وسطاء الحكمة ومعرفة الله ، هؤلاء الآباء جاهدوا وسط مجتمعهم المضطرب وواجهوا قضايا ومشاكل عصرهم وذلك مثلما

واجهوا قضية السلام وكثير من هذه المشاكل كانت تحتاج الى حلول فورية(٤).

إن إيمان الأقمار الثلاثه وأمانتهم مع الله ومحبتهم الحقيقية نحو الإنسان ساعدهم فى أن ينجحوا فى التجاوب مع احتياجات الإنسان ليس فقط الروحية بل والعملية الاجتماعية وذلك من خلال كتاباتهم الروحية والعقائدية وفوق هذا قدوتهم الشخصية وغنى تجربتهم المسيحية .

والبشرية اليوم تواجه ظواهر ومشكلات مشابهة فى العمق وإن اختلفت فى الشكل لما واجهه الآباء الأقمار الثلاثه ، ولعل أهم ما يميز حياة الناس فى كل العصور هو ميل الناس الى الاستهلاك وإنكار القيم والمبادىء وخاصة المسيحية منها .

إن الاحتياج الملموس اليوم الى إعادة صياغة المجتمعات وتجديد البنية الأساسية لهذه المجتمعات ، تجديد يستجيب لمطالب الشعوب التى تريد أن تحيا فى المبادىءالمسيحية بما تحققه من سلام بين الشعوب ، هذا كله يقود البشرية لتقترب من التعاليم المسيحية التى سلمها لنا الأقمار الثلاثه .

ويعود السبب فى عدم وعى كثير من الناس بأعماق معنى السلام الى الجهل السائد والأنانية المفرطة بين الأفراد والجماعات وأحيانا تتسبب الحركات الداعية للسلام فى بلبلة أذهان العامة .

---

(٤) خرستوس كريكونيس : رجل المجتمع الناجح والأقمار الثلاثه تسالونكى١٩٨٨ .

ولهذا شعر الأقمار الثلاثه بالحاجة الى أن يدرسوا قضيـة السـلام بشكل مسئول وجاد وأن يوضحوا معنـى السـلام حتـى يتكـون ليس فقـط وضـوح نظرى للأمر بل ويكون له مردود عملى فى حياة الناس .

## + ذهبى الفم والسلام :-

وهكذا يقول القديس ذهبى الفم " هناك أناس يتصورون أن السلام يكمـن فى مجرد التحية التى يوجهونها لبعضهم البعـض بأسم السـلام أو العلاقـات اليومية أو الهدوء الذى يسود أجتماعاتهم، أما أنا فأعتقد أن السـلام الحقيقـى هو ما يتفق مع إرادة اللـه أى " السـلام بحسب اللـه " والفـارق بيـن جوهـر السلام الالهى وسـلام الأيديولوجيـات يكمـن فـى الوفـاق الروحـي أى إتفـاق الآراء وهذا الاتفاق ينسجم مع الرؤية والخبرة المسيحية والافسـيكون عندنـا لون من الصراع المتطرف الذى يسىء الى الحق "(٥)

ورأى ذهبى الفم وإن كان لـم يدخـل بعـد الـى عمـق موضوعنـا إلا أنـه يحوى إستقراراً للعلاقات البشرية ، وليس معنى السلام أنه لابد لكـل للبشـر أن يتفقوا على كل الموضوعات وذلك حسب ذهبى الفم . السلام معنـاه هنـا أن نقطع كل مرض وفساد يعطل مسـيرة المجتمـع الصحيحـة، مـا يهـم هنـا حسب ذهبى الفم هو أن نقدم عطية السلام للناس وليس لمجرد التظاهر .

---

(٥) ذهبى الفم " ضد اليهود " مقال ٣ باترولوجيا جريكا ٤٨ : ٨٧٠

ايفانجيلوس ثيودورو " السلام " فى دائرة المعارف الدينية والأخلاقية . أثينا

## + باسيليوس الكبير والسلام :-

يقترب ق. باسيليوس من ق. ذهبى الفم حينما يقول أن السلام لو أقتصر على الاسم والمظهر الخارجي ولم يمتد الى أعماق المعني فسوف يؤدى الى تطرفات مشينة وأستثناءات وتفريق بين البشر فحينما يتصرف شخص بسلام مع مجموعة من الناس دون غيرها فهنا سيصير الأمر مثار للسخرية(٦).

وفى هذه الحالات فأن الذين يخصون بالسلام فقط الأصدقاء وسيصير السلام بعيدا عن معناه الصحيح ، فالذى يقسم الناس الى أصدقاء وأعداء وفي سلوكه مرة يحب ومرة يكره هو إنسان منافق فى سلامه وهذا يؤدى الى مشاكل عديدة فى تعايش الناس وبسبب هذه المفاهيم يؤدى الى الكراهية كما يقول غريغوريوس اللاهوتى . يرى باسيليوس أن سلوك الناس الاجتماعى يتحدد بشكل خاص حسب وضعهم الأيديولوجي والدينى ، ولهذا فأن أصالة السلام تظهر بشكل خاص من شمولية تطبيقه بدون تفريق فى الواقع اليومى .

## + غريغوريوس اللاهوتى والسلام :-

ويؤكد غريغوريوس اللاهوتى على أن السلام ليس أمراً ثابتاً أى أنه يمكن أن يختفى وهذا بسبب الخطر الكائن فى أن محبة السلام لاتجلب علينا دائماً السعادة بل يمكن أن تصيبنا بتجارب متنوعة ، يحدث أحيانا حسب

---

(٦) باسيليوس الكبير ، الرسالة ٢٢٥ .

غريغوريوس اللاهوتى أنه حينما يضطهدنا العالم أن نتوحد ونتقوى وحينما يختفى الخطر الخارجى نهمل ونتراخى وهذه الحالة ليس سليمة وتحتاج الى علاج .

ويقول غريغوريوس أننا بهذا الشكل نفقد عطية السلام ونصير أقل حالا من اللصوص الذين من أجل أن يحققوا أهدافهم يتحدون فيما بينهم (٧) وحينما يشير الى الانقسامات التى تحدث بين المؤمنين نلاحظ أنه لا يوافق على ذلك حتى ولو صدرت هذه الانقسامات عن غيرة على الحق لأن ذلك يؤدى الى هدم السلام الكنسى ، ويحث على أننا يجب أن نسعى جاهدين الى تقريب وجهات النظر وأن لا ننظر الى اختلافاتنا على أنها عداوة ولكن نقبلها على أنها " اختلاف آراء أخوى " وذلك من أجل الحفاظ على السلام بدون أن نشوه الحق الكنسى . ولهذا فهو يؤكد على أن الاختلاف من أجل التقوى هو أفضل اتفاق ويستمر قائلاً إننا لا يجب أن نسعى لأى شكل للسلام مادام يمكن أن يكون هناك موقف أفضل وهو يقبل الاتفاق والسلام حسب صلاح الله .
أى أن السلام أحياناً نافع وأحياناً غير نافع بمعنى أن هناك حرب نافعة وهناك سلام غير نافع وأشر من الحرب الضروس وفى هذه الحالات يجب أن نتسلح بعمل الروح القدس لكى نجاهد الجهاد الحسن.
ولكى لا نسىء الفهم نوضح أن الأقمار الثلاثه وكل آباء الكنيسة لا يتكلمون عن الحرب بين البشر بل عن الجهاد ضد الخطية وضد التنازل مع

---
(٧) مقال فى السلام مكتبة الاباء اليونانيون ٥٩

الشر أى هم يرفضون السلام الشكلى ، ( نحن لا نعرف إلا حرباً واحدة ، يقول غريغوريوس اللاهوتى، وهى الحرب ضد الشر والشيطان ).

## + الآباء والكتب المقدسة كمصدر للسلام :-

**يجب** أن نعرف أن كلام الآباء يأخذ قوته من حقيقة أنه ينبع من الكتب المقدسة ويستند على خبرات عميقة فى الحياة المسيحية فالأقمار الثلاثه يرون السلام كعطية صالحة تستلزم الجهاد للتوافق مع الحق الالهى وسهر كثير للاحتفاظ به . السلام عندهم هو عطية يجب أن تدوم ولن تدوم إلا بالتطبيق العملى مع الأعداء قبل الأصدقاء والسلام هنا له معنى عميق ولكنه ليس هدفاً فى حد ذاته بل هو وسيلة لتوحيد الناس مع بعضهم ومع الله .

يوجد نوعان من السلام حسب تعليم الأقمار الثلاثه ، سلام الله وسلام البشر والفارق بين هذين النوعين من السلام فارق عظيم وجوهرى والأقمار الثلاثه ( وكذلك كل آباء الكنيسة ) يقبلون بدون أى تردد سلام الله لأنه السلام الوحيد الحقيقى ويقول ذهبى الفم فى تفسير رسالة كولوسى ( عظه ٨- باترولوجيا جريكا٦٢ : ٣٥٤ - ٣٥٥):-

**( إن الله هو السلام لأنه أعطانا سلاماً وهو ليس سلاماً بشرياً لأن السلام البشرى يأتى من العدم ونحن لا نريد هذا السلام بل السلام الذى يأتى من الله . الله هو السلام ، سلامنا جميعاً) .**

ويركز ذهبى الفم كما رأينا على حقيقة السلام الخلاصية وذلك لأن المسيح بذبيحة صليبه صالح الإنسان مع الله وأعطى سلامه الخاص للمؤمنين به ، فالمسيح بصليبه وقيامته "داس" "هزم " أنتصر " لكى يصالح

السماويات مع الأرضيات . لقد سحق ليس الإنسان المستعبد والمربوط بل سحق قيود الإنسان ، ليس المذنب بل ذنوبه ، لقد أعطى السلام بدون أن تقع ضحايا فى سبيل هذا السلام، بل سلام قيامة وحياة (كو ١: ١٨-٢٩).

وسلام المسيح هو ثمرة الصليب بمعنيين -معنى مكانى ومعنى نوعى كرفع لصليب المسيح وهذا لأن سلام ذبيحة الصليب يحدث فى داخل قلب كل إنسان وليس خارجه ، ويحثنا ذهبى الفم على أن نقطع كل ما يسبب العداوة والتمرد فى داخل قلوبنا ( كو ٣ : ١٥ ).

وبدون صليب المسيح لا يمكن أن يتطهر قلب الإنسان من الأوجاع وذلك لكى يسكن فيه الروح القدس ويعطى ثمره وهو السلام (غلا٥: ٢٢).

التناقض الظاهر يكمن فى أنه بينما قدم المسيح ذاته على الصليب لكى يعطى السلام للبشر ، فإن العالم لا يقبل هذه الذبيحة ويقدم ضحاياه من البشر المساكين لكى يحصل على السلام ولهذا فان سلام الناس أى المفهوم الذى للعالم عن السلام ، ليس له إلا قيمة وقتية وهو لا يقدر أن يشبع قلوب البشر . (٨)

## + المسيح سلامنا : -

ولهذا فيجب علينا ومن أجل صالحنا أن نقبل السلام الذى قدمه المسيح ملك السلام كعطية ونتمسك بالسلام الذى تركه لنا المسيح هاربين من العالم " كوداع " حسب تعبير غريغوريوس اللاهوتى ، ولكى نربح عطية سلام المسيح العظيم يجب أن نعطى القليل وهو أن نسامح الذين يناصبوننا العداء

---

(٨) الأرشمندريت جورج ميتالينوس : الارثوذكسية والجهاد من أجل السلام بمجلة "الرسول برنابا " ١٩٩٢ ص ١٦٧-١٧٣

ولعل سلوكنا هذا يبدو كهزيمة وضعف ولكن الحقيقة أن تسامحنا وتصالحنا مع الأعداء هو تجاوز لأنانيتنا وهو نوع من البطولة .

ولهذا فنحن " ننهزم لكى ننتصر " حسب تعبير غريغوريوس اللاهوتى ولقد أعطى اللاهوتى المثل على هذا التسامح وذلك حينما تنازل عن الكرسى البطريركى فى القسطنطينية من أجل الحفاظ على سلام الكنيسة ولقد تنازل " مهزوماً ومتوجاً" حسب تعبيره .

ويكتب القديس باسيليوس شيئاً مماثلاً وهو المراقب الدقيق للأحداث والمفسر الرائع ويشير الى أن السلام الذى قدمه المسيح للمؤمنين هو "عطية الوداع " لكى يصيروا أحراراً فى العالم الحاضر (يو ١٤: ١٧ -٣١)

وهو بهذا يسلح تلاميذه بسلاح السلام لكى يتمموا رسالته الى العالم سالكين فى السلام فيما بينهم ، وهذا السلام حسب القديس باسيليوس هو عطية المسيح السماوية والخلاصية ولهذا فلا بد أن نعطيها جميعاً الأولوية فى حياتنا لأنها " ضرورية ونافعة ومفرحة " ويقول باسيليوس " أنا لا أستطيع أن أحسب نفسى مستحقاً لتبعية المسيح إذا لم أحب كل الناس أعداء قبل الأصدقاء وإذا لم أجاهد دوماً من أجل أن يسود السلام بين الناس وفى العالم أجمع " (٩) .

وهكذا يعلم الأقمار الثلاثه أن السلام الحقيقى هو أولاً وقبل كل شىء عطية المسيح للمؤمنين به وهذه العطية يقبلها فقط المستعدون والقادرون أن

---

(٩) رسالة ٢٠٣

يحتفظوا بها ولهذا فالسلام فى المسيحية له أبعاد مختلفة تماماً عن سلام العالم لأنه الصلاح الذى يسكن داخل النفس الإنسانية ولا يمكن أن يوجد سلام فى العالم إن لم يسكن السلام فى داخل النفس ولا يمكن أن يتغير العالم الخارجى إن لم تتغير النفس من الداخل .

ولهذا فإن الحروب والصدامات بين البشر ما هى إلا نتائج الصراعات النفسية داخل البشر (١٠)

## + الإنسان المعاصر وحياة السلام :-

الإنسان المعاصر يحيا حياة منقسمة ومتغربة عن جذوره الروحية وهو لهذا عاجز عن أن يفهم كيف يحقق ما يصبوا إليه من سلام .

وهو متناقض أيضاً فى الجهود التى يبذلها والتى تأتى معاكسة للنتائج المستهدفة ، الإنسان ليس لديه هدف واضح ومحدد فى الحياة وذلك لأنه كشخصية منقسمة واقع فريسة لحرب داخلية حيث تسود نفسه الأوجاع والهموم، ولهذا نعود ونؤكد أن السلام هو عطية وصلاح باطنى داخل النفس وعلى كل منا أن يرتب أولاً عالمه الداخلى لكى يوجد السلام فى العالم الخارجى. وهذا أمر مؤكد وذلك لأن كل إنسان منا يعيش فى مجتمع، وسلام هذه الجماعة يجب أن يمر أولاً وبشكل طبيعى داخل نفس كل فرد ويحقق له السلام، وهذا السلام الداخلى لكل فرد هو الأساس النوعى لنضمن السلام الخارجى أى سلام الجماعة كلها وذلك حسب قول غريغوريوس اللاهوتى (مقال عن السلام) وهنا نلمح مأساة عصرنا وهو

---

(١٠) F. Sheen , Peace of soul . London 1958 ,P.7.

أن الإنسان حينما فشل في قبول سلام الله بل وحارب الله، وجد نفسه بالضرورة يبحث عن السلام عند الناس (١١) وعند اللاهوتي غريغوزيوس فان السلام يعم حينما يجاهد الناس ويطلبون معونة الله وحينما تنعزل هذه المحاولات عن الله، يصير تحقيق السلام أمراً مستحيلاً . وهذا يفسر لنا لماذا تصل محاولات تحقيق السلام الى تحقيق " مصالح " أخرى وليس بالضرورة تحقيق " السلام الشامل " ، وهذا يفسر فشل الحركات المختلفة اليوم في تحقيق السلام وذلك لأن الناس يتصورون السلام كأمر مستقل بذاته ولهذا فأن تهديد السلام اليوم يأتي من المحاولات غير الكاملة لبعض الناس الذين يتنكرون لشركة السلام ويبعدون عن المحبة الأمور التي تشكل أساس كل سلام، بينما يرى ذهبي الفم أن أساس السلام هو الحياة الروحية وعلى هذا الأساس يبني الجميع آمالهم ورجائهم .

## + السلام والصحة النفسية :-

وبتعبير آخر فان السلام حسب تعليم الأقمار الثلاثه هو حالة داخلية أساساً وهي أهم عامل في صحة الإنسان النفسية وحسب علماء النفس والدراسات المتخصصة فأن هذا السلام يرتبط بالإنسان الداخلي ويتطلب حياة شعورية صحيحة، وهناك أمور يجب أن تسبق هذه الحالة وهي : -

---

(١١) ثيودوربولو إيبفانيوس : ما هو السلام الذى هتفت له الملائكة في بيت لحم " مجلة كينونيا " ١٩٨٤

أ. - خرسا فجي : رؤية أرثوذكسية للحرب "مجلة غريغوريوس بالاماس" ٦٨ ١٩٨٥ .

أ. السلام والهدوء الداخلي .

ب.الإرادة الصالحة وأتساع القلب

ت.احترام النفس

ث.عدم الارتباط الأناني والمتعصب بأشخاص معينين أو أمور معينة أو أفكار معينة .

ج.الإيمان بالحياة كهبة من الله

ويكتب عالم النفس الدكتور هادفيلد :-

" أتكلم كمحلل نفسي متخصص ولا أتكلم كلاهوتي ومع هذا أقول إن تعاليم الديانة المسيحية هي التي تقدر أن تنشيء إنسجاما داخلياً وسلاماً في الذهن وثقة في النفس وهذه الأمور مطلوبة لاعادة الصحة الى عدد كبير من المرضى النفسيين(١٢) "

## +الأساس الخرستولوجى للسلام :

إن أساس هذه الرؤية الجديدة للسلام كما نجدها عند الأقمار الثلاثة وباقي آباء الكنيسة هو المسيح لأن المسيح هو الكل في الكل في حياة المؤمنين، ( كو٢ : ٦- ٨) به يحيون ويتنفسون وهو رجائهم وفيه الجواب عن كل أسئلتهم الكيانية والوجودية اليومية في حياتهم، وهنا كلام ذهبي الفم له معنى كبير حينما يقول " أن المسيح هو كل شيء لنا لأنه يصنع السلام بيننا ويكفي أن نكون مرتبطين بمحبته"(١٣).

---

(١٢) كيف نجد السلام الداخلي بمجلة Reader Digest . July 1963

(١٣) ضد اليهود : مقال ٣ . باترولوجيا جريكا ٤٨ : ٨٦٣

حينما نقتني المسيح ، يقول ذهبي الفم ، نقتني السلام ونقدر أن نصنع السلام مع الآخرين . وحينما يهبنا المسيح الصلاح الكبير أي السلام الأبدي، فبالتالي فهو يقدم لنا السلام الأصغر أي السلام الأرضي، وذلك حسب بولس الرسول والذي يعتبر ذهبي الفم من أعظم مفسري رسائله حينما يقول: "المسيح سلامنا " (أف ٤ :٢ ) ،اذن المسيح هو السلام الوحيد حسب تعليم الأقمار الثلاثة، وهذا هو السلام الداخلي الذي يشير اليه الرب حينما يقول "سلامي أترك لكم .. سلامي أعطيكم " وهو لا يقصد السلام الخارجي الذي يطلبه البعيدون عن الله، وليوضح ذلك الفارق بين سلامه وسلام الناس يقول ' ليس كما يعطي العالم أعطيكم " (يو ١٤ : ٢٧ )، هذا السلام هو حالة النفس الداخلية لكل مؤمن ينسجم مع الناس من حوله، وشركة مع الله ، الإنسان وحده لا يمكن أن يصنع سلاماً بل مع الله فقط . جوهر سلام المسيح هو العلاقة بين الله والإنسان ، لا يوجد سلام الا بعد تحقيق الشركة مع الله ولأجل هذا السلام وديمومته تصلي الكنيسة كل مرة تقيم فيها الأفخارستيا الإلهية وتنادي عشرات المرات بكلمات " سلام وبسلام والسلام لكم والسلام لجميعكم "

إنه سلام الله الذي يميز العلاقة بين الله والناس ، وليس ذلك السلام القائم على صداقة المنفعة بين الناس أو شعب مع شعب بهدف وقف الحروب بينهم ، عن هذا السلام لم يقل الرب شيئاً ، بل بالعكس رأى مسبقاً ما سيواجهه المؤمنون به من ضيقات وعداوات من المضادين فقال " لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض بل سيفاً ، فأني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنه ضد أمها والكنه ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته " (مت ١٠ : ٣٤ - ٣٥ ).

وحتى لو بدا الأمر غريباً فان الحرب تسبق سلام المسيح ، وخبرة كنيستنا الارثوزكسية تشهد أن السلام ليس أمرا سهل المنال ، وذلك لأن الصليب هو وسيلة إنهاء الحروب ، فالصليب هو " سلاح السلام " فى يد صانع السلام ابن الله وهو يصير سلاح السلام أيضاً فى يد المؤمنين المجاهدين فى سبيل الشركة فى سلام المسيح .

## + السلام ثمرة الحياة الجديدة :-

وهكذا أسس السيد بتعاليمه وذبيحة صليبه حقبة حياتية جديدة، حالة جديدة للإنسان حالة النعمة والمحبة ، وهذه الحالة يميزها السلام الداخلي الذي لا يتأثر بالأحزان والضيقات والاضطهادات وظلم هذا العالم ، وفيها يتم قول المسيح " بهذا كلمتكم ليكون لكم في سلام" وكعارف بما سيواجهه أتباعه يضيف " في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦ : ٣٣) . العالم الذي يسود فيه الشر والخطية والظلم واحتقار حقوق الإنسان .

وهب المسيح هذا السلام الداخلي لتلاميذه رغم معرفته بما ينتظرهم من آلام وميتات ولكنه حذرهم قائلاً " أنى أرسلتكم كحملان وسط ذئاب ". ولهذا فالبشر بدون المسيح يصيرون ذئاباً لأخوتهم البشر بلا شفقه ولا رحمة .

ولهذا نفهم ، حسب تعليم الأقمار الثلاثه ، لماذا لم تتحقق بعد أنشودة الملائكة " وعلى الأرض السلام " . ورغم أن أنشوده ' "وعلى الأرض السلام " صارت أمنية نكررها كل عام بمناسبة عيد الميلاد المجيد آلا أن الناس مازالوا يعصون الله ومازال الأمل فى أن يسود السلام قائماً منذ آلفي

عام وهو قائم كحلم يبدو غير قابل للتحقق ، ولن يسود السلام مادام الناس بعيدون عن الله ولكن منذ لحظة تجسد الله ، صارت أنشودة الملائكة واقعاً في نفوس المؤمنين ولكنه لم يصر أمراً مفهوماً من قبل العالم .

ان السلام والانسجام يشكلان أهم صفات تلاميذ المسيح الحقيقيين وإذا غابت هذه الصفات عن علاقات تلاميذ المسيح بعضهم ببعض فسوف يكون غير المسيحيين على حق حينما يقولون إنهم ليسوا تلاميذ المسيح الحقيقيين وفى هذا يقول ذهبي الفم في شرحه لإنجيل يوحنا "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حباً بعضكم لبعض " ( يو ١٥ : ٣٥ ) .. ولكن إن تشاجر التلاميذ فسوف يقولون إنهم ليسوا تلاميذ اله السلام " .

ويضع ذهبي الفم السلام فوق كل الصالحات الأخرى وذلك لأن السلام لا يحفظ فقط نفوس البشر ولكنه أيضاً يبنى الكل في انسجام ، وخلاف ذلك فكل شئ سوف ينحل. وهذه الوحدة تتحقق فقط من خلال " رباط السلام " . وهذا يظهر أهمية السلام لكل البشرية وهو أهم خصائص الجماعة المسيحية . وحينما يصير السلام أمراً ملازماً للحياة اليومية وذلك لأنه أساس النمو مع الله والتقدم الروحي ، وقتها لا نحتاج إلي كلام كثير لكي نبين أهمية السلام ، ولكن إذا كان هناك حاجة للكلام عن السلام فيصير حسب غريغوريوس " ما هو أعظم حديث عندنا ،هو حديث السلام وأضيف أنه هو الأكمل، بينما الانقسام هو أسوأ شئ ".

## + الثالوث مصدر السلام : -

وأهمية السلام تُستمد من الله المثلث الأقانيم حيث لا يوجد "موقف أحادى " ولكن اتفاق وسلام ووحدة ولهذا يسمى الله باسم السلام ، ولهذا يصر الأقمار الثلاثه على تأكيد أهمية السلام ولهذا فسلام الله لا يفوق فقط كل عقل ولكن السلام بين الناس يفوق كل علاقات بشرية أخرى ، وحسب غريغوريوس اللاهوتي فان أهمية السلام لا تقوم فقط على انسجام الثالوث ولكن أيضاً على الانسجام السائد في عالم الطبيعة وأي اضطراب يصيب النظام والانسجام في الطبيعة معناه أن يتوقف العالم أن يكون " عالم " بالمعنى الحقيقي وذلك لأن العالم سيظل " عالم " مادام يحتفظ بالسلام والتناسق .

وتظهر أهمية عطية السلام من أن البشر في كل العصور لا يرغبون فيه فقط ولكنهم مستعدون أن يخوضوا غمار الحروب من أجل تحقيق السلام وهذا الأمر يؤيده المنطق العام . وذلك حسب ملاحظة المؤرخ هيرودوت قبل ثلاث آلاف سنة :-

*" لا يوجد إنسان جاهل على وجه الأرض يفضل الحرب على السلام وذلك لأنه في الحرب يقوم الآباء بدفن أولادهم بينما في السلام يقوم الأبناء بدفن ذويهم "* والحرب كاختيار حياتي بدلاً من السلام هو شئ غير طبيعي وهو قلب لموازين الطبيعة كما يقول غريغوريوس اللاهوتي .

## + النظريات العالمية عن السلام :-

كل ما نستطيع أن نقوله عن النظريات السائدة حول مفهوم السلام هو أنها جردت الحضارة البشرية والشعوب من سلاحها الاجتماعي وهكذا يحتفظون بشعارات حب الحروب ويعطلون كل محاولة لنشر السلام .

وأهم المشاكل التي تعترض البشرية اليوم ، حسب رأينا ، هي: -

١) كيفيه تجنب حرب نووية جديدة بل وحروب صغيرة تتسبب في تعاسة الشعوب . ولننظر إلى ما يحدث في البوسنة مثلاً .

٢) كيفية بنيان حياة مادية وفكرية جديرة بنا كبشر .

ولكي تتحقق هذه الأهداف لابد من السلام : كيف يحاول الناس اليوم الوصول إلى السلام ؟

يقوم السلام اليوم على المعاهدات والصداقة وعدم العدوان وعلى قرارات المنظمات العالمية وعلى السعي المحموم للتسلح وعلى مبادرات مختلفة من حركات محبة للسلام وهناك اقتراحات من قادة العالم السياسي والفكري وأيضاً من الكنيسة بخصوص السلام . وهدف الحركات المحبة للسلام هو نشر روح السلام بين الشعوب وتجنب الحروب .

ولكن التجربة علمتنا كما لاحظ المجتمعون في براغ ضمن منظمة اليونسكو ١٩٧٩ ، أن السلام لا يمكن أن يتحقق بمجرد التصويت علية في هيئة الأمم المتحدة أو آي منظمة عالمية أخرى وذلك لأن كل محاولة للسلام تقوم على انتصار طرف على الأخر ، ولهذا يسود مناخ عدم ثقة بين الشعوب وهذا يمنع حدوث أى إنجاز يدعم السلام والأمثلة على ذلك تملأ تاريخنا المعاصر :-

١- معاهدة فرساي ١٩١٩ والتى داس عليها هتلر عام ١٩٣٩ الذى وقع معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي ( سابقاً) وهذا لم يمنع قيام الحرب العالمية الثانية .

٢- فى عام ١٩٧٣ فى مؤتمر هلسنكى الذى عقد من أجل الأمن الأوربى ومن أجل تأمين السلام صدرت وثيقة المبادئ العشرة بينما فى الحال زادت نسبة الانفاق على التسلح ملايين الدولارات.

٣- عام ١٩٧٩ وُقعت الاتفاقية الشهيرة ( سالت ) فى فيينا من أجل الحد من التسلح النووي والذى أدى الى التوسع فى حرب النجوم بدلاً من تحقيق سلام النجوم .

وهكذا يظهر أن هذه المنظمات الدولية وإن كانت قد وضعت نصب عينيها إنهاء الحروب وتحقيق السلام إلا أنها لم تتمكن من الاستجابة الكاملة لآمال الشعوب الأعضاء فيها . فالأمم المتحدة التى تُعد التعبير الوحيد عن تجمع كل الأمم لم تنجح فى منع الصدامات المسلحة وأحد الأمثلة الصارخة والمعاصرة هو الاعتداء على سيادة أراضى الجمهورية القبرصية واحتلال الأتراك ٤٠٪ من أراضيها، وقد أصدرت الأمم المتحدة قرارات عديدة من أجل إعادة السلام الى أراضى قبرص ولكن بدون تحقيق أى إمكانية لتحقيق هذه القرارات وهناك أمثلة أخرى عديدة غير قبرص مثل الشعب الفلسطينى وغيرها والنتيجة هى أنه لا المعاهدات ولا الأمم المتحدة ولا أى لون من التوازن فى التسليح أدت الى تحقيق السلام الكونى . وهكذا نصل الى أن ندرك أن البشرية اليوم تجوز تغييرات اجتماعية كبيرة تؤدى الى مسيرة جديدة ، وهذه المسيرة الجديدة تحمل ملامح أزمة عميقة فى كل مناحى الحضارة والحياة الاجتماعية والعلم ، والمعتقدات الدينية وفى التربية. ولهذا فالأمور تحتاج الى تغيير جذرى والبشرية بجميع أنشطتها تشتاق للتغيير ، الناس يحتاجون الى توجه جديد ، الى إيمان جديد بمعايير أخلاقية ، ولقد

سبق وقال المؤرخ والفيلسوف أرنولد توينبى : " البشرية ، لكى تحيا ، تحتاج الى تحول عميق وجذرى يخلصنا من الأنانية ويوصلنا بالواقع الروحى السامى " أى بكلمة الله .

إن العيش المشترك فى سلام وانتشار السلام فى العلاقات البشرية والعالمية سوف يحولان النظام الاجتماعى وسوف يتشكل سلوك البشر بتعاليم المسيحية . ولقد كتب أحد الفلاسفة قائلاً " إنه لكى يوجد مجتمع اكثر عدلاً وعالم اكثر سعادة ، يجب أن تحل قوة المحبة الإلهية والأخوة محل الصراعات والتسلح . والفيلسوف جاك ماريتان قال : -

*"أن التغيير معناه تجديد نظام الحياة"* وهذا النظام الجديد لكى يكون مختلفاً عن الأنظمة السابقة يجب أن يتأسس على المحبة المسيحية ولكن بينما نجد المحبة كوصية قائمة منذ آلاف السنين إلا أنها لم تطبق بشكل عام، وهذا جعل الكثيرون يتهمون المفهوم المسيحى للمحبة أنه يوتوبيا أى عالم مثالى لا وجود له فى الواقع ، وإذا كان لم يتحقق هذا منذ ألفي سنة ، كيف يتسنى له أن يتحقق اليوم ويقولون أيضاً أن الكلام عن سلام يُعم العالم كله بشكل دائم هو لون من اليوتوبيا ، ولكن التاريخ يعلمنا أنه هناك أناس آمنوا بما يقولون وحولوا إيمانهم الى واقع ففى الحياة العلمية هناك أموراً كانت مثاليات وصارت واقع ، وفى الحياة الاجتماعية والسياسية توجد أمثلة كثيرة ولا أريد أن أشير الى أمثلة تغيب عنها المحبة مثل كارل ماركس ، الثائر الكبير والذى صار المُنَظر والزعيم لملايين البشر ومحمد الذى بدأ رسالته ببعض العبيد المحررين لكى يصيروا اليوم الديانة المحمدية، ديانة ملايين من الأتباع المؤمنين ، ولكنى أريد أن أتوقف بشكل

خاص أمام المهاتما غاندى الذى بشر بالمحبة كأسمى قوة يملكها العالم وتسود المحبة كنتيجة للعلاقات السلمية مع الآخرين ، ولكن لماذا نشغل أنفسنا بكل هؤلاء ، وأمامنا رسالة المسيحية التى لا تنتمي الى أحد مما ذكرنا أنفاً بل الى الناصرى الذى منذ الفى عام عاش كنجار متواضع فى الناصرة وبدأ رسالته بعدد قليل من الأتباع ولم يكن يسمعه إلا عدد قليل ونجح فى تغيير المفاهيم السائدة ، ليس بالطبع على المستوى السياسى أو كنظام إجتماعى بل على مستوى العلاقات بين البشر حيث علم بأنه لا عبد ولا حر بل الكل سواسية أمام الله والكل مدعوون ليصيروا أولاد الله (يو ١: ٢٣ ، ١٣ ) . ويتساءل المرء هنا الى متى ستظل رسالة المسيح لا تأخذ حقها الواجب من التقدير ؟ ولكن حتى اليوم أظهر لنا التاريخ أن ما من نظام سياسى أو إجتماعى نجح فى تحقيق التغيير الذى تصبو إليه البشرية اليوم والذى يقدر أن يقدم حلولاً للمشاكل الاجتماعية ، وهذه المشاكل ملحة حيث هناك ملايين من البشر يموتون جوعاً والحروب تقضى على ماتبقى لهم من كرامة إنسانية كما يحدث فى القارة الأفريقية على سبيل المثال.

وهكذا نصل الى القناعة أن أى تغيير فى المجتمع لا بد وأن يتحقق من خلال التعاليم المسيحية والتى يمكنها أن تظلل على كل البشر بدون حواجز جنسية أو قومية أو دينية مادام سيحيا الجميع فى ظل عطية السلام التى أعطاها الله لكل البشر .

ولهذا فان المسيحية تفوق كل الأيديولوجيات بمبدأ " أحب قريبك كنفسك" بدون أن تحسب حساباً لهوية هذا القريب صديقاً كان أم عدواً. والحق يقال أن البشرية لم تفهم الى الآن روح الإنجيل الحقيقية ( ولهذا فالمسئولية تقع

على عاتقنا ، البعض كبيرة والبعض صغيرة ) وروح تعليم الإله المتجسد هى روح المحبة نحو الكل بدون استثناء وغياب هذه المحبة هو السبب الحقيقى وراء غياب السلام من قلوب البشر .

والأقمار الثلاثه اهتموا بفحص موضوع السلام فى بعده الاجتماعى ولا حظوا اختفاء السلام من المجموعات التى تشكل المجتمع مثل الأسرة والكنيسة والمدينة والأمة ، وغياب السلام عن أى شريحة اجتماعية يجعل حياة الناس صعبة ولا تطاق ولا يعوض أى شيء آخر هذه الحياة .

وقضية غياب السلام تشبه حالة المرض حيث يسبق التشخيص العلاج من خلال تشخيص أمراض المجتمع . ويعلق غريغوريوس اللاهوتى بحزن على المآسى التى تنتج عن غياب السلام قائلاً : - " لقد وصل بنا الحال الى أن يدوس بعضنا البعض ، انقسمنا الى شيع وفرق ، وسفكت الدماء، والذين يحاولون أن لا ينحازوا لفريق دون أخر ، ويحتفظوا بسلامهم ، يتعرضون للضيق من كلا الطرفين ، وصار الحياد أمر صعباً ومكلفاً " .

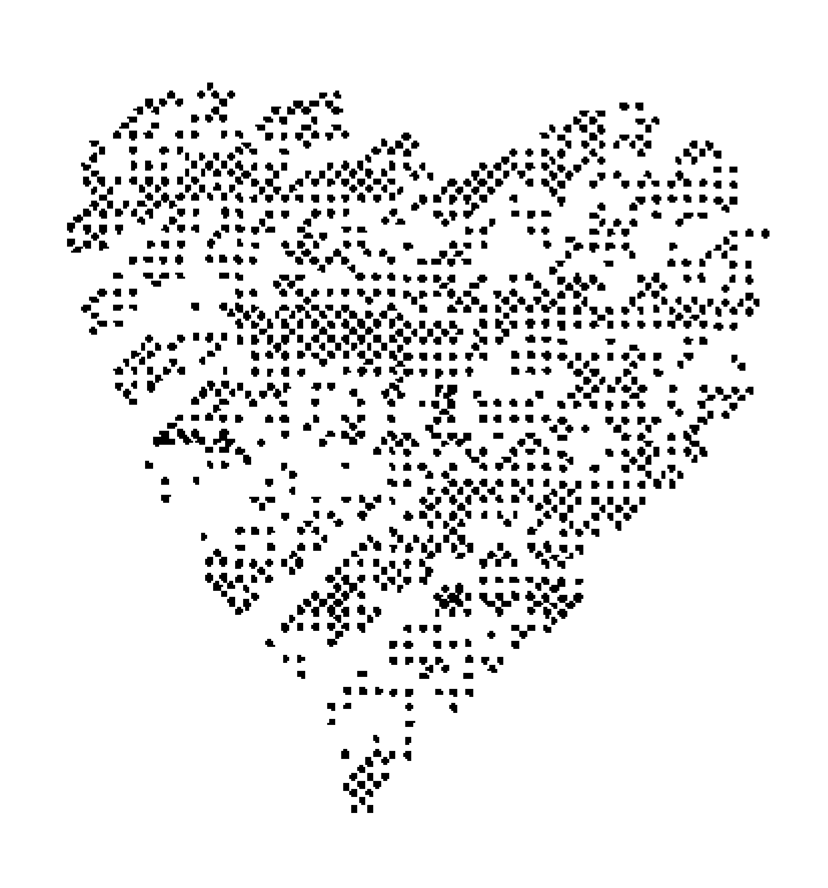
الأقمار الثلاثه هم الذى عبروا بصدق عن رسالة السلام التى حققها الإله المتجسد ، وأكدوا على أن السلام الداخلي فى النفس ، أى السلام حسب الله ، هو القوة الوحيدة التى تساعد كل إنسان على أن يحقق السلام مع نفسه ومع بيئته ومع الله: وهو القوة الوحيدة التى تعطى للإنسان أن يحقق التقدم الروحى ، أى أن يحقق تجاوزاً مسيحيا لأركان هذا العالم وأن يحب حتى أعدائه بدون أن ينتظر مقابل .

والآباء الثلاثه يعون جيداً قيمة وفائدة ومدى حاجة النفس للسلام الداخلى الذى من الله وأيضاً أدركوا أهمية البعد الاجتماعي لقضية السلام، ولهذا فهم يؤكدون أنه لا يمكن لأى مجتمع مهما بلغت درجة تنظيمة لا يمكن أن تقوم له قائمة بدون سلام عميق يجمع كل أطراف المجتمع المتناقضة والمتباينة ، وذلك لأن السلام هو الرباط الحقيقى لحركة المجتمع الصحيحة، وقد كان السلام ولا يزال هو أهم فضيلة اجتماعية مرغوبة من جميع الناس ( أستير ٣ : ١٢ ) ويقول غريغوريوس اللاهوتي:-

" محبة السلام الذى هو الاسم الحلو شكلاً وموضوعاً ، محبة السلام التى يجد فى إثرها جميع البشر وفى النهاية لا يتمسك به ويخلص له إلا القليلون" ولا يوجد عصر يحتاج للسلام ويشتهيه مثل عصرنا : هل سيحصل عصرنا على السلام الذى طالما اشتهاه : ومن عمق التاريخ ، يخرج إلينا صوت النبى أشعياء وهو يؤكد على الحقيقة المُرة التى عاشتها الأجيال ما بين الطاعة والتمرد :-

" إن شئتم وسمعتم تأكُلون خير الأرض وأن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم ." (أش١: ١٩ - ٢٠) وأمام هذا كله ، لا يسعنا ونحن نختم عظتنا هذه من أن نسجد أمام الرب ونصلى طالبين:-

*"يارب تجعل لنا سلاما لأنك كل أعمالنا صنعتها لنا" (أش ٢٦: ١٢).*



*وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع.* ( فى ٤:٧ )

# حول العدل والمساواة فى المجتمع

# عند الآباء العظام الثلاث

# باسيليوس وغريغوريوس وذهبى الفم

**للبروفسور خريستوس كريكونيس**

**استاذ الآباء بجامعة تسالونيكى**

**ترجمة : د. جوزيف موريس فلتس**

إن رؤساء الكهنة الثلاث ***باسيليوس الكبير ، غريغوريوس اللاهوتي ، ويوحنا ذهبى الفم*** ، هؤلاء الممتلئون حكمه ومعرفة إلهية، رموزاً للإيمان المسيحى ومعلمين لكبار للمسكونه بالنسبة للكنيسة الارثوذكسية .

لقد عاش آباء الكنيسة هؤلاء عصرا خلقت فيه المسيحية بظهورها وانتشارها مشاكل حضارية وفكرية واجتماعية صعبه . ولقد واجه هؤلاء الآباء تلك المشاكل بأساليب ماهرة ليس فقط بأبحاث نظريه ومجادلات عقائدية إنما أيضا بالطريقة العملية لحياتهم المسيحية وأحيانا كثيرة من خلال خبراتهم النسكية .

ولم يكن العصر الذى عاشوه الآباء بالطبع هو العصر المثالى والوجه الأخلاقي ، فأثّر ذلك فى المجتمع أيضا ولم يستطيع المجتمع المسيحى أن

يتخلص من هذا التأثير بالرغم من المحاولات التى بذلتها الكنيسة بإصرار فى هذا المجال .

فى وسط هذا المجتمع المتلاطم نشط هؤلاء الآباء وواجهوا تلك المشاكل الصعبة والمعقدة ، فكثير من هذه المشاكل كانت عاجلة تتطلب حلولاَ فورية ولا تتحمل التأخير ..

ولقد نجح الآباء ليس فقط بتعاليمهم بل أيضا بالمبادئ المسيحية التى طبقوها فى حياتهم بطريقه عمليه ، آن يعطوا حلولا لا للمشاكل الاخلاقيه والاجتماعية فقط بل ولمشاكل أخرى واجهت عصورهم .

## مشاكل عصرنا الحالى :

وعصرنا الحالى حيث يسلك الناس نمطاً استهلاكيا مجنوناً ، فى شك وإنكار لكل القيم والمبادئ المسيحية ، يواجه مشاكلاً شبيهه بتلك المشاكل التى واجهها الآباء وان اختلفت فى ظروفها الخارجية ..

إن الحاجة لإعادة تنظيم الروابط الاجتماعية المعاصرة وأسس مجتماعتنا على قواعد سليمة بحيث تستجيب لمطالب الإنسان الذى يريد آن يعيش فى محبه وسلام مع الآخرين وهكذا تقترب البشرية أكثر من التعاليم المسيحية .

واليوم فإن تعاليم الآباء لهى شيىء حتمي لمواجهة المشاكل الاجتماعية المعاصرة حيث تأخذ مشاكل توزيع الثروات الحر والتفرقة بين الأغنياء والفقراء المكانة الاساسية بين المشاكل. فعلى فترات ، حسب ما هو معلوم، ظهرت أو فُرِضت انظمه اجتماعيه مختلفة ، ولقد حاولت هذه الانظمه ان

تطبق كل منها انظمتها الخاصة وبرامجها لتضع حلولا للمشاكل الاجتماعية المختلفة وللقضاء على المتناقضات الاجتماعية الموجودة . ولكن بسبب التوتر والحدة اللذان كانا يصاحبان ظهور هذه المشاكل الاجتماعية في كل عصر ، كانت النتائج مثيره للإحباط ولردود الفعل بل كانت تولد الكراهية واراقة الدماء .

وفى كل هذا كان السبب يرجع بالقطع الى ان تلك الحكومات أو تلك الأنظمة ، لم ترغب من ناحية ولم تقدر من ناحية أخرى ان تطبق فى سياستها الاقتصادية أو فى حياتها المفهوم المسيحى ، فيما يتعلق بالملكية واستخدام الثروة والعدل الاجتماعي .

***ما هو إذن هذا المفهوم المسيحى ؟***

## المفهوم المسيحى للعدل الاجتماعى وإستخدام الثروة :

إن المسيحية بالرغم من إنها ديانة روحيه إلا أنها لا تعترف بالتقسيم القائم بين الفقراء والأغنياء فى المجتمع ، هى تعرف فقط التمييز بين الأتقياء وغير الأتقياء ومع هذا فهى بسبب وجودها الدائم فى إحتكاك بالعالم أما بصورة سلبية بسبب مواجهتها له أو بصورة ايجابيه بتقديسها له ، فإنها لا تستطيع ان تغض النظر عن الثروات القائمة بالفعل فى المجتمع ، ولهذا فقد اتخذت الكنيسة موقفاً حيال هذه الظاهره الاجتماعية منذ اللحظة الأولى لظهورها فى العالم .

فالغنى حسب وجهة النظر المسيحية يرتبط بمعنى الملكية بدون أن يتطابق المعنيان . الغنى هو آن يملك الإنسان بشكل يفوق الحد أشياء مادية ومعيشية وخصوصا الثروات منها .

وطالما أن هذه الأشياء تمثل حكرا له وتعطيه الحق وحده في أن يتصرف فيها بمشيئته الخاصة وأن يدافع عنها ضد أى اعتداء ، ففى هذه الحالة فإن هذه الأشياء تمثل ملكيته الخاصة .

لقد كان تقييم الثروة فى الفكر اليوناني القديم يعتمد على الطريقة التى يُحصل بها على تلك الثروة وكذلك على الطريقة التى تستخدم بها .

وفى هذا يقول افريبيدس

*" أيها الناس ... إن الثروات ليست هى ملكا لنا ، أنها ملك للآلهة وهم قد أقامونا للاهتمام بها "*

كذلك فإن اكسنوفون يلاحظ انه :

*" لا نستطيع أن نعتبر أن كل الأغنياء سعداء ، فالسعيد فقط هو ذلك الذى اقتنى ثروته بشرف ومن يستخدمها لخير اخوته فى البشرية "* . أما فى العصر الروماني فقد اختلفت هذه النظرة للغنى فقد أعتبر أن اقتناء الثروات حق طبيعى للإنسان يعطيه حق السيطرة الكاملة على كل الأشياء وأيضا الحق حتى فى اساءة استعماله لها .

وللأسف فإن هذه النظرة قد عبرت إلى الغرب مع السنوات الأولى لتطبيق المبادئ الاقتصادية المتحررة وكذلك بتأثير عصر التنوير والحركات الفلسفية الحديثة والتى حاولت ان تؤسس مبادئ اجتماعيه بطريقة مستقلة بعيده عن المبادئ المسيحية وفى مرات عديدة على عكس هذه المبادئ :

* أما فى الشرق وبسبب انتشار التعاليم المسيحية الارثوذكسيه وبسبب النجاح النسبى للعمل المشترك بين القيادات الكنسية والسياسية ، فإن هذه

الفروق الاجتماعية لم تظهر بصورة حادة بل كان هناك تجنب للحركات المناهضة بصفة عامة .

* وبالتطور الملحوظ والنهضة الصناعية فرضَت الملكية الفردية نفسها على المجتمع . وبظهور الماركسية بعد ذلك فإن نظريه المِلكية العامة أعلنت نظام المِلكية المشتركة بدلا من المِلكية الخاصة وأوصت بقيام طبقات العمال فى مواجهة ضغوط أصحاب العمل كما أوصت بالتسوية الاجتماعية .

لقد حاول كثيرون أن يظهروا المسيحية كحركة اجتماعيه سياسية ثورية وكان هدفهم ان يخلقوا بذلك لاهوتاً سياسياً أو اجتماعياً .

لكن المسيحية وبالذات الأرثوذكسية لم تهدف قط إلى أن تماثل أى نظام إجتماعى سياسى ، وعلى وجه الأعم لم تحاول أن تشابه العالم، وذلك بالتأكيد لكى تتمكن من أن تؤثر فى هذا العالم وليس العكس .

فهناك حيث وُجِدَت حالات شابهت فيها الكنيسة نظاماً عالميا معيناً كان ذلك معناه خروجاً عن التعاليم الارثوذكسيه الأصيلة .

لقد صاغ الآباء الذين عبروا عن الروح المسيحية الأصيلة والذين يمثلون ضمير الكنيسة الأرثوذكسية، المبادئ المسيحية والمفاهيم الاجتماعية بطريقة مختلفة تماما عن تلك المفاهيم التى كانت تعتبر الفرد أو المجتمع هو محورها الرئيسى .

لقد كانت تلك المفاهيم التى صاغها الآباء قادرة على الأخذ بيد الإنسان الذى يصارع بغير أمل لكى يتحرر من مأزق المجتمع الاستهلاكى ومن الضغوط السياسية الحزبية .

لقد تسلح الآباء بالمعرفة وكانوا على دراية تامة بالمشاكل الاجتماعية وغيرها ليس فقط فى عصرهم بل وفى عصور أخرى ، فقد كان لديهم الحس الكامل والعميق لرسالة المسيحية نحو العالم وعرفوا ضعفات وظلم المجتمعات اليونانية الرومانية ، ولهذا استطاعوا ان يواجهوا بمسئوليه كاملة وبلا خوف مشاكل تلك المجتمعات .

إن مفاهيم الآباء لا ترتبط لا بالمبادئ الاقتصادية لنظام الاقتصاد الحر ولا بأى نظام اشتراكي ولا حتى بالأنظمة التى تسمي نفسها " بالديمقراطية المسيحية " . هى بالقطع تقبل بتملك الثروات الاقتصادية ولكن لا تربطها بطبيعة الإنسان بحيث أنه لو فقد تلك الثروات يمكن أن يهلك الإنسان .

فضلا عن هذا فإن انحراف الإنسان بعيداً عن طبيعته أى بعيداً عن إنسانيته لا يرجع سببه أنه يمتلك ثروة أو أنه يشارك الآخرين تلك الثروة بل يرجع سببه للخطية، وبالتالى فالمكليه ( التملك ) لا يرتبط عند الآباء بطبيعة الإنسان ولا هى بمعنى أوضح شريعة طبيعية بل هى عطية من الله وبسماح خاص منه كوسيلة نافعه وشريعة حتمية للإنسان الخاطئ .

فالملكية بهذه الطريقة هى نتيجة للشهوات الخاطئة للإنسان ولم تكن موجودة فى مرحله ما قبل سقوطه أى فى الفردوس ، ذلك لأن البشر لم يكن لديهم ما هو " لى " وما هو " لك "

والقديس غريغوريوس اللاهوتى يلفت النظر الى ذلك بقوله " لا تنظر إلى التقسيمات الحالية بل تذكر الحالة القديمة ، تلك المساواة الأولى ".

## قيمة الإنسان والتملك عند الآباء:

لقد أدرك الآباء فى الوقت المناسب إن المفاهيم المختلفة للمكليه الفردية أو الجماعية بشأن تملك الثروات وطرق إستخدامها تعزل الإنسان عن المجتمع الذى يعيش فيه ، وتجعله منغلقاً على نفسه وتعطيه إحساساً بالاكتفاء الذاتي والاستقلال عن غيره وبمعنى آخر تجعله يؤمن أنه مادام يملك الكفاية من الخيرات المادية فإنه قادر أن يصبح حراً مستقلاً عن الآخرين بينما هو فى الواقع عبد وتابع. ولهذا عينه نادى الآباء بأن قيمة الإنسان لا تتوقف على معايير خارجية ولا تُقيّم على حسب نسبه أو مكانته الاجتماعية. إن قيمة الإنسان تكمن بطريقة مباشرة فى نسبه لله الآب أبيه ، حيث أن جميع البشر هم أولاد متشابهون ومتساوون أمامه ، طالما أن لهم ذات الجوهر الإنساني المشترك. إن نظرة الآباء هذه لتمثل اكثر الأسس ثورية لقيمة الإنسان وحقوقه لأنها بينما هى لا ترتبط بأية متغيرات وظروف خارجية فهى تنشىء داخل التعايش الاجتماعى ، مساواة بين البشر فى إطار مساواتهم الروحية الثابتة وغير المتغيرة أمام الله خالقهم . وعلى هذه القاعدة المضمونة يضع الآباء العلاقات الاجتماعية كضرورة حتمية يخضع لها كل البشر فقراء وأغنياء. فالجميع ينتمون الى القاعدة الاجتماعية الأساسية للأخذ والعطاء. وهكذا لا يستطيع الغنى بسبب انتمائه للفئة القادرة على العطاء أن يظن أنه ليس بحاجة أن يأخذ من آخرين ، من الفقراء ، كما لا يجب على الفقير أن يشعر بالتبعية ولا أن يحس بصغر النفس لأنه محتاج أن يأخذ. فوجود عدد هائل من التبعيات المتبادلة داخل النظام الاجتماعى هو ضمن خطة حكمة الله . إن تلك التبعيات هى شبيهة بتلك التى توجد بين أعضاء جسم الإنسان والذى نرى فيه تناسقاً فى حركته

والذى يمكن أن يتحقق فقط حينما تعمل هذه الأعضاء بتوافق فيما بينها . يلمح القديس يوحنا ذهبى الفم بأنه من المستحيل أن يعيش الأغنياء بدون الخدمات التى يقدمها لهم الفقراء بينما يستطيع الفقراء والعمال والصناع والأجراء أن يعيشوا بدون الأغنياء . وعلى أساس فكر رئيس الأساقفة هذا ترتكز أحقية الإضرابات العامة فى مجتمعات الاقتصاد الحر اليوم وذلك برفضهم تقديم الخدمات من أجل ضمان سبل عمل وأجور أفضل .

ويرى الآباء أنه ليس اعتباطاً تقسيم المجتمع إلى أغنياء وفقراء ولكنه يدخل ضمن خطة حكمة الله من أجل أهداف تربوية ، ذلك أن هذا التقسيم يعطى الفرصة للبشر أن يمارسوا حرياتهم دون أن تتعرض حياتهم لأى تهديد مباشر ، لأنه كما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم أنه بافتراض أن الخيرات التى يعطيها الله مجاناً للجميع أصبحت ملكاً خاصاً للبعض ، حينئذ ربما يصبح هناك احتمال أن تتحول هذه الخيرات إلى مادة للتجارة من الذين يملكون أكثر وبالتالى ستتعرض حياة من ليس لهم فرصة للتملك إلى خطر. ومن ناحية أخرى لو أصبحت كل هذه الأشياء مشتركة بين البشر، لن يكون هناك فرصاً أو مجالات لكى يمارس البشر العدالة والمحبة والتقشف فى حياتهم .

ويرى القديس باسيليوس الكبير أن توزيع الثروات فى العالم هو محدد من قبل الله وذلك لإعطاء الفرصة للأغنياء أن يتصرفوا بشكل حسن فى ثرواتهم، وللفقراء أن ينشدوا فضيلتى الاحتمال والصبر .

## الله مالك كل الخيرات المادية والروحية :

إن خيرات هذا العالم سواء كانت الروحية أو المادية هي لله الذى خلقها ويدبرها ، أى له أيضا الخيرات الاقتصادية ، سواء كانت طبيعية أو مكتسبة كالغنى مثلا .

ولقد قسم الآباء - مثلهم مثل علم الاقتصاد الحديث الخيرات المادية إلى: -

أ. تلك التى يهبها الله بسعة وبغير تمييز للكل مثل ضوء الشمس ، ماء المطر ، الهواء ، أى الخيرات الضرورية لحياة الكل وبدون تفرقة بين البشر .

خيرات ناتجة من تدخل الإنسان وهى ما يطلق عليها الخيرات الاقتصادية وتلك الخيرات هي التى تقسم البشر الى أغنياء وفقراء.

وفى النوع الأول أى الخيرات التى يعيطها الله ، أو بمعنى آخر الخيرات الطبيعية هناك استخدام متساو وحر من الكل، بينما فى النوع الثانى هناك تملك مع إسراف في الاستخدام .

فحسب التعاليم المسيحية والتى يعبر عنها الآباء بإصالة فإن الله هو السيد المطلق على الأرض وكل المسكونة لأنه هو خالقها ، بينما سيادة الإنسان هى سيادة عُهِدَ بها اليه ، هى منفعة مشروطة حتى فى الخيرات الاقتصادية التى يشترك الإنسان فى إنتاجها .

## الأغنياء ليسوا مالكين بل مدبرين لثروات الله:

وعلى هذا الأساس فإن الآباء يرون أن الأغنياء هم مدبرين ومستخدمين للثروات التى تخص الله وليس كمالكين لتلك الثروات، وهذا ما يلمح به القديس باسيليوس الكبير .

فالبشر الذين لديهم ثروات، يمارسون ببساطة عملاً اجتماعيًا محدودًا بدون أن يكون لهم أحقية استخدام تلك الثروات لفائدتهم الشخصية أو أن يعيشوا فى بحبوحة من العيش تفوق المستوى العام لبقية البشر، وخلاف ذلك يكون امتلاك الثروة بمثابة سلب وسرقة لأشياء هى تمثل ملكية عامة كما تمثل أيضاً ملكية لله الذى هو مانحها فى الأصل .

فالغنى بحسب رأى الآباء يأتي من الله على جميع البشر وهو مخصص للكل ويهدف إلى الرفاهية المادية للجميع وبالتالي فيجب على من يملك الغنى أن يتصرف فيه بطريقة اقتصادية وليس بتلذذ أو تنعم هذا ما يقوله باسيليوس الكبير .

## أهمية المحبة والاعتدال فى استخدام الثروة:

والتصرف بطريقة اقتصادية فى الغنى تعنى تغطية الاحتياجات العامة لكل مجتمع بعينه .. وتنجح هذه الطريقة عندما يتحلى استخدام هذا الغنى بالمحبة والاعتدال . فالمحبة كما هو معروف تمثل مضمون الوصية الجديدة لله محب البشر تلك التى قدمها كبداية جديدة للعالم بتوجه خاص نحو أخلاقيات جميع البشر لتنظم بصفة خاصة علاقات داخل المجتمع . فالمحبة المسيحية ولانها تهدف الى إشباع وإرضاء الآخر فهى تجعل من المسيحية نظاماً اجتماعياً ودينياً فائقاً فمن الثابت والمعروف إن المحبة تعرف فقط أن تعطى ولا تطلب ما لنفسها ، بينما نجد أن ( الشهوة ) ولانها تهدف الى إرضاء ( الأناة )، لها نتائج سيئة فى المعاملات الإنسانية فى المجتمع حيث تسود الفردية، طالما أن الشهوة تطلب أن تأخذ فقط . والمسيحية أعطت مضموناً جديداً للمحبة حيث أرجعت أصل المحبة لله

نفسه واستجابت لفعله فيها. وهكذا فإن نبع الحب هو قوة الله والذى عن طريقه يعمل داخل هذا العالم، ومحبتنا نحن هى انعكاس لتلك المحبة "*فى هذا هى المحبة ليس أننا أحببنا الله بل إنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا* " وحسب رأى القديس باسيليوس الكبير فإن المحبة هى قوة فطرية وعمل أساسى فى الإنسان. فالإنسان بطبيعته يحب الصلاح ( الخير ) وبالتالى يحب الله لأن الله هو وحده الصالح . وليس فقط هذا بل إن الإنسان يحب أيضاً مخلوقات الله لأنها أعمال صالحة لله الصالح ، فالمحبة إذن تجاه إخوتنا فى البشرية هى تلك القوة الجامعة الشاملة للنفس والتى تتجه نحو الكل وتهدف الى تقدم الجميع بلا تمييز. وبهذه الطريقة يصبح المجتمع مجموعاً واحداً من البشر الذين يعيشون بتناغم فى كل شىء ، يستنشقون مُثلاً مشتركة ويجاهدون معاً لأجل التقدم الفكرى والروحى، مستخدمين معًا أيضًا الخيرات الاقتصادية كسبل للمعيشة .

إن تطبيق مبدأ المحبة فى استخدام الثروة ( الغنى ) يعطى توازنا بين جماعات المجتمع ويجعل من الأغنياء مستخدمين فضلاء للثروات ، لأن الاهتمام الزائد بمضاعفة الثروات وخاصة بطرق غير مشروعة مثل الربا والنصب لهو دليل واضح يشهد بغياب المحبة فى العلاقات الاجتماعية ويدل على إنحرافات أخلاقية .

إذن طالما أن المحبة هى صفة فى طبيعة الإنسان فطبيعته الإنسانية هذه تحثه دائماً على المحبة . ولهذا فان المحبين ذوى القلوب المنفتحة تجاه الآخرين يتمتعون بصحة أفضل . بينما الحاسدون فى خلافاتهم مع أنفسهم ومع الآخرين يتصرفون بطريقة لا تتفق مع طبيعتهم هذه . وبالتالى فإن

المحبة عند القديس باسيليوس كما قلنا سابقاً ليست هى تعليم يأتي من خارج الإنسان بل هى شئ غريزي يتكون بتكون الإنسان ولهذا فإن لديه من نفسه دوافعاً ونزعات تحثه على محبة اخوته فى البشرية وهذا ينطبق على جميع فضائل الإنسان الذى يكمل حياة الفضيلة عندما يستخدم كل قدرات نفسه بطريقة صحيحة . بينما يصير عبداً للشر عندما يستخدم قدراته هذه بطريقة منحرفة – إن هذه الآراء تتفق اتفاقاً تاماً مع نتائج أحدث أبحاث علم النفس وطب الأمراض النفسية ويرى باسيليوس الكبير إن المعايشة الاجتماعية السوية يمكن أن تتحقق طالما أن هناك تطبيقاً لوصية المحبة .

## الخيرات الروحية السماوية هى هدف حياتنا هنا :

فطالما أن العالم الحاضر هو عالم فاني وليس له دوام فان قيمته تكمن فقط فى أنه يمثل مرحلة يجب على الإنسان فيها أن يجاهد حسناً لكى يحصل على الخيرات الروحية السماوية كجائزة له . أما خيرات هذا العالم فهى تمثل وسائط إعاشة له . ومعيار إستخدام هذه الخبرات هو مدى تغطية احتياجات الإنسان فقط، اما ما يزيد على ذلك فهو من الشرير .

إن مبدأ الاعتدال فى استخدام الغنى إذن يرتكز على تعاليم المسيحية القائلة بأن طبيعة خيرات هذا العالم الحاضر هى مؤقتة وزائلة .

وبالطبع وجد البشر طرقاً كثيرة لكى يتنعموا ويسرفوا غير عالمين أنه بينما هذه الوسائل لا تقدم شيئاً مفيداً ، فهى تسبب لهم فى نفس الوقت عوائق على طريق اقتنائهم أشياء روحية وأخلاقية مفيدة .

فيجب أن تهدف مجهوداتهم إلى هدف سامى لأن الإسراف والتنعم فى العالم الحاضر والمعيشة الرغدة ليس لها معنى بحد ذاتها ولا توصل إلى

أى هدف سامى. فى الحقيقة إن الآباء وخصوصاً باسيليوس الكبير ، وإن كانوا قد أفسحوا المجال بعض الشىء لبعض التنعم النافع إلا أنهم كانوا متشددين على وجه العموم فى تقييمهم للاهتمام بالرفاهية بشكل عام .

وعلى أية حال فقد كان من رأيهم إن سوء استخدام الغنى ( الثروة) فى أمور بلا هدف وبلا نفع ، فى أشياء مظهرية فقط تعبر عن " شراهة شهوانية " تحول الأغنياء فى الواقع إلى فقراء . وهذه الشراهة الشهوانية كانت سائدة ليس فقط فى عصر الآباء بل وفى كل عصر.

فإن ما نلاحظه حتى اليوم من سعى مستمر نحو إيجاد سبل جديدة للتنعم ليدل على فقر اكثر الناس ثراءً فى العالم ؟ طالما أنه لم يجد بعد الوسائل التى يرضى بها شهواته إرضاء تاما . وأيضا فإن السعى نحو غنى أكثر يدل حسب رأى القديس باسيليوس على إنحرافات شخصية واجتماعية . فإلى هذه الشهوة ترجع أعمال القسم بالباطل والتزوير ، ونقض القسم وأيضا الكراهية والقتل بين الأخوة ويتساءل القديس باسيليوس قائلا :

" إلى متى سيكون الغنى ، الذى هو موضوع الحروب والذى يتنكر لطبيعة العلاقات الإنسانية والذى يتسبب فى الكراهية والبغضة بين الأخوة؟ ما هو أب الكذاب ؟ ما هو الشىء الذى يلد نقض القسم ؟ أليس هو الغنى ؟ أليس هو الاهتمام الزائد به ؟ "

وفى الشهوة الكبيرة لاقتناء الأمور المادية وفى القيمة التى تعطى لهذه الأمور يتساوى كل من الغنى الذى يريد غنى اكثر ، والفقير الذى يغير ويحسد لأنه يريد ان يصبح هو أيضا غنياً .

يقول برديائيف الفليسوف الروسي واللاهوتي في هذا الشأن :

" أن الشكل السائد للنظام الاشتراكي يشجع على إقتناء الغنى بغير حدود وهو مبني على أساس حقد وغيرة المحرومين من الثروات وغير القادرين ضد الأغنياء والقادرين. وعندما ينتصر الفقراء في سعيهم ويصبحون أغنياء محدثين ، ففي شماتة شريرة يحاولون سلب الأغنياء ثرواتهم " فالفقير لن يثورفي وجه الغني لو كانت لديه مفاهيم سليمة عن الأمور المادية ، ولو أعطى الأمور الأرضية قيمتها الفعلية.

ولهذا فبينما كان الآباء ينتقدون بعنف وشدة قوة الأغنياء وترف معيشتهم لكنهم لم يصلوا إلى حد المناداة بصراع طبقي ولم ينهضوا الطبقات الاجتماعية لكي تتصارع فيما بينها. بل حاول الآباء أن يقللوا من تلك الصراعات الطبيعية الاجتماعية وذلك بإنماء الروح والفكر المسيحي وبالأخص المحبة ، تلك المحبه التي يجب أن تسود في علاقه الأغنياء بالفقراء داخل المجتمع ، فالمحبة يجب أن تسود التعامل بين الفقراء والأغنياء . وبسيطرة المحبة في مجتماعتنا سيحل السلام والهدوء الاجتماعي وسُنشرك بإرادتنا وبغير اضطرار، الغير فيما نملك .

## الملكية المشتركة في كنيسة أورشليم الأولى :

لقد كانت رغبه القديس ذهبي الفم أن يسود مجتمع عصره فكرة الملكية المشتركة ( الجماعية ) تلك الملكية التي سادت لوقت قصير في جماعه المسيحيين الأولى في أورشليم . لكن لابد أن نلاحظ أنه في جماعه المسيحيين الأولى في أورشليم ، والتي يبرزها كمثال كل من الثلاثة أقمار المتيرين لم يسد نظام الملكية المشتركة مثلما حدث في جماعات أخرى مثل الأسينيين لكن كان هناك استخدام جماعي للخيرات نتج عن فهم لمعنى

الشركة وإيمان أعضاء تلك الجماعة ( أورشليم ) . ولهذا السبب عينه كانوا يتصرفون حسب أرادتهم ورغبتهم وليس عن اضطرار . لقد كان توزيع الخيرات فيما بينهم يتم نتيجة للمحبة التي كانت تسودهم بدون أى ضغط قانونى أو أى تدخل من السلطة .

وفى إشارته إلى هذه الجماعة الأولى فى أورشليم يتساءل القديس ذهبى الفم قائلا :

" هل ولدت المحبة قبل المشاركه فى الملكية أم العكس .. أنا اعتقد وأقول أن المحبة هى التى ولدت قبل المشاركة فى الملكية ".

وبالمثل فالقديس باسيليوس وهو يضع فى اعتباره نفس المثل أى جماعة المسيحية الأولى فى أورشليم يعلن بشكل قاطع أن المجمتع المثالى هو ذلك المجتمع الذى لا تكون فيه ملكية خاصة بل ملكية مشتركة مع توافق وتناغم فى الرأى .

واستخدام القديس باسيليوس لتعبير للملكية مشتركه بدلاً من تعبير الاستخدام المشترك للمكلية يرجع إلى الشكل الرهبانى للمجتمع الذى يريد أن يعبر عنه ويعرضه فى كتاباتة وعلى أية حال فالقديس باسيليوس يحاول أن يقدم لنا نظرية الاستخدام المشترك المشروط وهو بهذه الطريقة يجمع بين شقين لم يستطع علم الاجتماع الجمع بينهما ، أى الجمع بين نظام الملكية الخاصه ونظام تأميم الملكية .

غير أن هذا ربما يسبب سوء فهم شديد لتعليم الآباء ، فقد حاول البعض أن يقول أنهم يفضلون ويشجعون نظام توزيع الثروات بطريقة متساوية

وأنهم يلغون نظام الملكيه الخاصه ، ذلك أن الآباء فهموا أن رغبة الإنسان في التملك هى ضرورة للفرد كما أنها ضرورة للمجتمع.

## الثروة وسيلة للعيش وليست هدفاً للحياة :

فالغنى والثروة لابد أن يكون وباستمرار وسيلة للعيش والحياة ولا يصير اطلاقاً هدفاً اساسياً فى الحياة .

أما إذا صار فى حد ذاته هدفاً للحياة ، حينئذ ستصبح صورة الغنى المجردة أى المال خطراً كامناً فى أيدى من يمتلكة ووسيلة أساسية للسيطرة على كل الناس .

لهذا السبب فإن الآباء لا ينتقدون الغنى فى حد ذاته بل هؤلاء الاغنياء الذين يسيئون استخدام الغنى ويظهرون عدم إهتمام لا يغتفر بمصائب الآخرين .

فالغنى فى الأساس ليس هو ذلك الذى يمتلك خيرات كثيرة ولكنه هو ذلك الذى يتمنى أن يمتلك أكثر مما عنده أو أكثر مما يحتاج .

إن الشهوة الشرهه لتملك أكثر للخيرات يدل على أن هؤلاء الناس لا يرون فى الحياة الحاضرة إنها مؤقتة ولهذا فإن شهوتهم هذه هى مصدر كثير من الثورات الاجتماعية . لأنهم بطريقتهم هذه يعطون الخيرات المادية أبعاداً مطلقة . فمن ناحية يستغل الأغنياء الفقراء ومن ناحية أخرى يثور الفقراء لينتزعوا من الأغنياء ثرواتهم ويتمتعوا بها.

ولهذا يقول ذهبى الفم أنه هكذا يظهر أن الغنى أساساً ليس شراً وليس بالضرورة أن يقود إلى الفساد.

فالحقيقة مثلا أن المال يقود كثيرين إلى الفساد، بينما الفقر يجعل آخرين حكماء. وحقيقة أيضا أن كثيرين من الفقراء بحسب ما يملكون من خيرات هم فى وضع أفضل بكثير من جهه رغباتهم .

وبالتالى فبينما يمثل الغِنى أداة حسنة فى البداية ربما بعد ذلك يتحول إلى أداة تعاسة وشر طالما أن الاستمرار فى الاهتمام بالمال يستهلك مجهودات الحياة كلها ويغير من شخصية وأخلاقيات الإنسان.

وهكذا فإن المال حسب رأى القديس باسيليوس ربما يخدم الفضائل وربما يتحول إلى أداة شر . ولهذا فان الأغنياء عندما يتصرفون تصرفات غير إنسانية فإن هذا يرجع إلى أنهم هجروا مبدأ المحبة ومبدأ الاعتدال بسبب رغباتهم المنحرفة .

إن نصيحة السيد المسيح " *إن أرادت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل مالك واعطه للفقراء وتعال واتبعنى* " لا تعنى الاستغناء عن كل الماديات. إن المال فى حد ذاته لهو شىء محايد . لو استُخدِمَ بطريقة عادية فإنه يخدم العدالة وإن استخدم بطريقة ظالمة فإنه يخدم الظلم . فالمال لابد أن يكون خادماً لأنه فى طبيعته لابد وأن يكون خادماً لا مسيطرًا . فالويل لو يحكم المال ، لأنه لو حكم المال سيكون حينئذ قد خرج عن هدفه .

فعندما قال الرب للغنى " بع كل مالك " كان يقصد ان يُدخِل غنى آخر داخل نفسه وروحه ، كان يريد أن يُدخِل داخله إرادة صالحه وحينئذ

سيُستخدم المال من صاحبه لخدمه المجتمع جملة ، وهكذا يجد الغنى كنزاً في السموات.

ولو استجاب الغنى بطريقة صحيحة إلى المتطلبات الدينية والاجتماعية فإنه سيكون مستَخدِماً حاذقاً وأمينا .

## تأكيد مبدأى المحبة والاعتدال :

أما إذا أُهمِلَ المبدأين السابقين أى مبدأ المحبة والاعتدال فإن هدف الغنى سوف يُلغى وبالتالى فإنه سيكون مسئولاً أمام الله عن إفشال الهدف من الثروة .

فعندما يطبق الأغنياء المبادىء المسيحية أى مبدأ المحبه والاعتدال فى استخدامهم للخبرات المادية، حينئذ سيكون التمييز بين الأغنياء والفقراء فى المجتمع تمييزاً شكلياً وتصبح الخيرات المادية وسيلة للتقدم الخلقى والاجتماعى. أما إذا أهُملت هذه المبادىء، أى مبادىء المحبة والاعتدال فحنيئذ سيصبح هذا التمييز بين الأغنياء والفقراء تمييزاً جوهرياً وسيساعد هذا التمييز على انقسام المجتمع وعلى الثورات والصراعات بين الطبقات .

فحسب رأى الآباء ، فإن المسيحية تهتم لكى ينجح الإنسان فى كسب الخيرات التى تمكنه من دخول ملكوت السموات ، وإلا فلا قيمة لأن يجاهد أحد من أجل خيرات لا مقابل لها بعد الموت . وفى هذا يقول القديس باسيليوس على وجه الخصوص " أنه لا أهمية بالمرة لأى من الخيرات الارضية. ولهذا فإن المسيحيين عليهم أن يعملوا الأشياء التى ستساعد فقط فى تحقيق رجائهم فى الحياة الأخرى ".

إن التجرد والنسك يمثلان عنصرين أساسين فى التعاليم المسيحية ويهدفان إلى أن يجعلا الإنسان أكثر حرية ، متحررا من الخيرات الأرضية وموجهاً لكى يرث الحياة الأبدية .

## التجرد يجعل الإنسان حراً :

فكلما ملك الإنسان أقل كلما زادت حريته واستقلاليته. إن المبررات التى يسوقها الآباء هى أن حياتنا هنا حياة مؤقته ولابد أن نستعد للحياة الآبدية . إن وطننا هو فى السماء . إن الآباء فى هذا التعليم يتبعون تعاليم القديس بولس .

إن كل الألقاب والمراكز والسلطات هى مؤقته وزائلة . إن الآباء يتساءلون : أين هى القيادات العالية ؟ أين هم القواد ؟ أين هم الجبابرة ؟ أين هم الطغاة ؟

إن حياتنا سواء أردنا أم لم نرد هى مجرد طريق ممتد من لحظة ميلادنا إلى تلك اللحظة التى يحددها السيد الرب لانطلاقنا من هذا العالم .

إن الشىء الذى يثير الانتباه فى مواقف الآباء هذه ليس هو نشأتهم أو مراكزهم العالية لأنهم تركوا وهجروا ماكانوا يملكون وكانوا مستعدين فى كل لحظة لكى يتركوا مراكزهم العالية إذا استدعى الأمر.

إن الشىء الذى تأكد منه الحكام السياسيون وكذلك الشعب البسيط ليس فى عصرهم فقط بل وفى أيامنا هذه، هو التزام الآباء الشخصى وقبولهم ومعيشتهم بطريقة تتفق مع المبادىء المسيحية التى علموا بها وأعلنوا عنها وحاولوا أن يغرسوها فى ضمائر المؤمنين.

لقد عرض القديس باسيليوس تلك المبادىء مجمله لكن بصورة حية على الحاكم "ميدثتو" عندما أرسل له قائلا : "ماذا سيضرني ؟ هلى سأخسر ثروتى ؟ لست أملك سوى ثوبى الذى ألبسه ، هل سوف أرُسَل إلى المنفى؟ هذا أمر لا يشغلنى طالما أنى لست متعلقاً بمكان ما . هل سأموت ؟ إن الموت سيكون بالنسبة لى عطية كبيرة لأنه سيحملنى بأكثر سرعة إلى الله الذى هو حياتى " .

بهذه المبادىء المسيحية المنكرة للذات واجه الثلاثة أقمار المنيرون المشاكل الاجتماعية الهائلة الخاصة بالمساواة والعدل. فإن وُجِدَت ، "أنظمة" خاطئة تحيط بالإنسان فإن هذا بسبب الشهوات والشرور ، والاهتمامات المادية تمثل في نفوس البشر أنظمة دائمة ، ولأن الشر لا يوجد فى خارج الإنسان بل داخله .

وبعد أن أوضحنا رأى الآباء فى المشاكل الاجتماعية الخاصة بالثروة وبالتملك وبعدم المساواة الاجتماعية تتأكد لنا الحقائق الأتية :

## سبب عدم تأثير المسيحية فى اللحظات الحرجة :

إن عدم قدرة المسيحية أن تؤثر بطريقة فعّالة فى اللحظات التاريخية الحرجة يرجع إلى أن القادة وأيضا المؤمنون كانوا ومازالوا لديهم توجهات عالمية ويستلهمون أفكارهم من الاهتمامات المادية ، وإنهم ما أعطوا ولا يعطوا الآن الخيرات المادية الأرضية القيمة الواجبة ، وبعبارات أخرى فإنهم ما عاشوا بطريقة مسيحية . ويقول ذهبى الفم إنه " عندما نشاهد أن المسيحيين يبنون قصوراً بحدائق وحمامات ويشترون الأراضى والعربات وما شابه ذلك فإننا ندرك انهم لا يريدون ولا يقدرون أن يؤمنوا أنهم يستعدون للحياة الأخرى ، طالما أن اهتماماتهم تنصب بصورة مطلقة على

هذه الحياة فقط " . وأخيراً فلو أردنا أن نبحث عن نمط اجتماعى مثالى لقلنا أن النمط الاجتماعى المثالى حسب رأى الآباء ورأى المسيحية ليس هو وضع نظام اقتصادى للملكية الفردية، والذى لا يضع فى اعتباره شيئاً سوى زيادة المكاسب ورؤوس الأموال ، ولا هو ثورة الطبقة الكادحة والذى يحاول ، أن يسقط النظام الحاكم بالقوة لكى تستطيع أن تتمتع هى الأخرى بنفس هذه الخيرات المادية .

إن النمط الاجتماعى المثالى هو نمط ذلك المسيحى الحقيقى الذى ليس له اهتمامات مادية ، ذلك المسيحى القديس وذلك النمط ليس هو شيئاً نظرياً، أو هو نمط مثالى لا يمكن تحقيقه . لقد كتب القديس باسيليوس قوانين ذلك النمط الاجتماعى وشكله وتنظيمه، والى هذا النمط يحيل القديس يوحنا ذهبى الفم كل من يشك فى إمكانية تطبيق المثاليات المسيحية فى المجتمع وإضافة إلى ذلك فلقد عاش الآباء أنفسهم حسب تلك المثاليات .

ففى الكنيسة الأرثوذكسية فإن حياة المسيحيين الحقيقيين، والذين يعيشون فى حياة بسيطة ، فى محبة ، وفى حرية ، وفى عبادة خاشعة للرب ، تمثل واقعاً ملموساً يسود حياة تلك الكنيسة إلى اليوم .

فبالتالى فإن المسيحيين الحقيقيين هم أنفسهم أمثلة لتلك الحياة الاجتماعية فى الأرثوذكسية ، هم النساك والقديسون الذين يزينون كنائسنا والذين نمجدهم فى قداساتنا وأشعارنا الروحية . إذن نحن مدعوون أن نتمثل بهؤلاء .



# رأى الكنيسة فى مشكلتى المخدرات ومرض الأيدز

**للبروفسور خريستوس كريكونيس**

**أستاذ الآباء بجامعة تسالونيكى**

**ترجمة دياكون / مجدى وهبه صموئيل**

**أولا : – المخدرات .**

١ـ أنواع عقاقير المخدرات .

٢ـ سبب إستخدام المخدرات .

٣ـ التعلق بأدوية الأدمان .

٤ـ قصة الحشيش .

٥ـ آثار استخداتم المخدرات .

**ثانيا : – مرضى الأيدز .**

١ـ طرق أنتشار الأيدز .

٢ـ مشكلة الأيدز مشكلة روحية كنسية .

٣ـ أسباب مرض الأيدز .

٤ـ طرق الوقاية من مرض الأيدز .

٥ـ آراء خاصة بمرض الأيدز والرد عليها .

**ثالثا : – طرق ووسائل مساعدة الكنيسة .**

إزاء مشكلتى المخدرات والأيدز .

١ـ الإيمان بالله

٢ـ التعليم الشافى

٣ـ سر الزيجة .

يسأل كثيرون سؤالا منطقيا :

**أية علاقة يمكن أن تكون للكنيسة وعلم اللاهوت بإدمان المخدرات ، ومرض الأيدز ، إذ أنه من الواضح أن هذه الموضوعات هى طبية تماما أو ربما أجتماعية أيضاً ؟.**

وحيث أن هؤلاء المتساءلين يرون أنه لا توجد أية علاقة بين الكنيسة وهذه الموضوعات ولذا فمواجهتها فى نظرهم هى من اختصاص العاملين المتخصصين فى هذه المجالات فى الدولة فقط . أولا من الجانب الطبى ، وذلك بالطرق والوسائل التى يقدمها علم الطب . وثانيا من الجوانب الأخرى ، الأجتماعية ، والقانونية ، والنفسية وغيرها ، وليس من جانب كنسى ولاهوتى اطلاقاً .

وكان نتيجة هذا الرأى أن كل الذين يهتمون بمشاكل المخدرات والأيدز – وهم الآن لحسن الحظ كثيرون – يحاولون أن يحصروا عواقبها ونتائجها فى مجال الطب خاصة ، وأن يواجهوها ( أى المشاكل ) بطريقة عامة بدون أن يدخلوا فى عمق جوهر المشكلة . هؤلاء يحللون الظواهر الشكلية، ويتوقفون عند بعض مراحل الأبحاث ولا يتقدمون نحو المواجهة الجذرية للمشلكة وطرق الخلاص منها .

أنه لأمر مؤكد على وجه العموم أن المخدرات والأيدز ، يمثلان أثنين من أكبر الأعداء لصحتنا ومجتمعنا . هذان العدوان اللذان اجتاحا مجتمعنا كله بطريقة قوية ومدمرة ، وسببا خسائر مرعبة لا يمكن تعويضها ، وخاصة فى القسم الأكثر حيوية فى المجتمع ومحط آماله ، أى فى الشباب، أولادنا .

هذا الخطر ربما كان من الممكن أن يواجه ، وبطريقة تؤدى إلـى نتـائج إيجابية ، وإلى تدارك العواقب المدمـرة الناتجـة عنـه ، لـو أن العـاملين فـى الدولة فى هذا المجال وضعوا فى اعتبارهم الملاحظات التوضيحية والنتـائج المؤكده للمتخصصيين الآخرين فى مواجهة المشكلة ، وواجه الأثنـان معًا وفى نفس الوقت هذا الأمر الخطير .

للأسف هذا لم يحدث ، وإن انتشار وتجارة المخدرات والمـواد الضـارة بالصحة قد أخذت فى السنوات الأخيرة أبعاداً مرعبـة . ونسـتطيع أن نؤكـد أن عدد المتعاطين الآن هـو كبـير جداً وأن الذيـن يموتـون نتيجـة اسـتخدام المخدرات قد وصل عددهم إلى رقم مرعب .

# اولاً : المخدرات

## ١- أنواع عقاقير المخدرات :

بحسب علم الأدوية ، هناك مجموعات مختلفة من العقاقير تعتبر مخدرات ، والتى تتصف بخاصية مشتركة ، هى تأثيرها على الجهاز العصبى المركزى ، مثل هذه العقاقير :

١- العقاقير المسكنة للألم مثل الأفيون .

٢- العقاقير التى تعطى طاقة تهيج وإثارة للجهاز العصبى المركزى مثل الكوكايين .

٣- العقاقير التى تعطى إحساساً كاذباً بالنشوة مثل الحشيش . لن نشير بالتفصيل إلى أنواع المخدرات فهذا عمل المتخصصين . ولكننا سوف نذكر فقط وبالتحديد أن المورفين المعروف يأتى من عقار الأفيون المهدىء ، الذى يستخلص من عصير ثمرة الخشخاش والذى يسُمى " أبو النوم " . هذا ويُصنع الهروبين بطريقة خاصة من المورفين .

وحيث أن كل هذه الأدوية المخدرة تجعل كل من يتعاطاها ، يتعلق بها لذا فهى تسمى عقاقير الإدمان أو أدوية الإدمان المسمومة .

## ٢- سبب إستخدام المخدرات :

يتم استخدام هذه الأدوية من جانب المدمنين بغرض الوصول لحالة نشوة مصطنعة أو لأجل الاحساس بمشاعر سعادة كاذبة ، أى يظن المدمنون أنهم بواسطتها يخرجون من الصعوبات ومشاكل الحياة اليومية وأنهم يعيشون ولو لوقت قليل ، فى حالة خارج الواقع ، أى فى عالم من الأحلام .

بالطبع هؤلاء لن تحل مشاكلهم بهذه الطريقة بل بمجـرد أن ينتهـى فعل المخدر تظهر الحاجة وبأكثر حدة إلى أعادة استخدام نفس الأدوية من جديد، بل ويصير الطلب عليها بعد ذلك أكثر تكرارًا .

وهكذا فمشاكل حياة المدمنيين اليوميـة ، ليسـت فقـط لا تجـد لهـا حـلاً، ولكنها تصير أكثر سوءاً عمـا كـانت عليـه قبـل استخدام هـذه الأدويـة هـذا يرجـع إلـى أن هـذه الطريقـة فـى استخدام المخـدرات تـؤدى إلـى اكتســاب "العادة" بمعنى أن الفرد يشعر الآن بالإحتياج المنتظـم لهـذا الـدواء ، وليس فقط لتكراره ، بل وباحتياجه لزيـادة الجرعـة باستمرار. وذلـك لكـى يصـل مرة أخرى إلى حالة النشوة والمشاعر الكاذبة ، وحالة الخروج من الواقع .

اكتسـاب العـادة هـذا يسـميه المتخصصـون اليـوم " التعلــق بـالمخدرات والاعتماد عليها " .

**ملحوظة** : بعض أدوية المخدرات مثل المورفين يستخدم فى علم الطب فـى حالات محدده ، كـالتخدير مثـلا لإجـراء العمليـات الجراحيـة ، وفـى عـلاج جلطة القلب . كذلك فى مواجهة الآلام الشديدة ( آلام السـرطان علـى سـبيل المثال ) .

## ٣- التعلق بأدوية الأدمان :

تعلق المدمنين بـالمخدرات يمكـن أن يكـون أمـا تعلقـا نفسـيا فقـط أو تعلقاً جسدياً فقط أو أن يكون تعلقاً نفسيا وجسدياً معاً .

### ١- التعلق النفسى :

ويحدث عندما يكون للفرد رغبة حارة لتكرار الجرعـة وزيادتهـا بصفة مستمرة من نفس نوع المخدر . ويدخل ضمن هذا النوع من التعلق ، عـادة التدخين وذلك نظرًا للهدوء الظاهرى الذى يظهر على المتعاطى والمدخن .

٣- التعلق الجسدى :

وفيه تظهر ظواهر جسدية شديدة ومؤلمة ، تجبر المدمنيين على أن يكرروا الجرعة من المخدر بأى ثمن . وإن لم يحدث ذلك فالعواقب يمكن أن تقود إلى كل أنواع العنف بما فيها القتل .

٤- قصة الحشيش :

من تاريخ دواء الحشيش نذكر أن استخدامه وجد انتشاراً واسعاً حوالى سنة ١٠٩٠ب م بواسطة قبيلة عربية منحدرة من الإسماعيليين تحت زعامة قائد تلك القبيلة " حسن بن الصباح " . هذه القبيلة بدءاً من سنة ٧٢٢ب . م بدأت فى الأنتشار من داخل بلاد فارس ( إيران ) حتى وصلت إلى الشواطىء الغربية بشمال افريقيا . ونسبة إلى قائدها " حسن" سُميت " قبيلة الحسينين " ومن هذا الاسم جاءت الكلمة Assassins أى الحشاشين أو القتلة. وبحيلة ماكره قام " حسن " بتوزيع مشروب من أصل نبات القنب الهندى الطبيعى ( الحشيش ) على تابعيه ، وبعد ذلك نقلهم إلى حدائق جميلة وقدم لهم هناك كل أنواع التمتع الحسى وكل لذه جسدية بطرق وأشكال مختلفة . حتى ظن هؤلاء أنهم فى الجنة وأرجعوا ذلك إلى قائدهم " حسن " ، والذى أخبرهم بدوره أنهم إذا أرادوا أن يكونوا فى الجنة مرة أُخرى حتى ولو بعد الموت ، ينبغى عليهم أن يطيعوا قائدهم طاعة عمياء .

وهكذا صاروا متعصبين له ، مقاتلين لحسابه ، ولا يخافون الموت فى الحرب ، بل على العكس يسعون إليه لكى يعيشوا مرة ثانية فى التمتعات التى سبق وتذوقوها .

## ٥- آثار استخدام المخدرات :

من الآثار غير المرغوب فيها والتى تنتج عن استخدام المخدرات السابق ذكرها :

١- الأضطرابات الشديدة فى الفكر ، والذاكرة ، والإدراك .

٢- الضعف الجسمانى .

٣- تكوين الدمامل .

٤- تجمد الأوردة الدموية وتعفن الدم .

٥- التهاب الكبد .

٦- الألتهاب الرئوى .

٧- ضيق التنفس .

٨- انخفاض الضغط .

٩- أحمرار العينين .

١٠- التعرض لمرض الأيدز .

وكل هذا يؤدى بشكل أكبر إلى الموت .

# ثانيا : مرض الأيدز AIDS

بخصوص مرض الأيدز نذكر أنه من سنة ١٩٨١ اكتُشف مرض جديد بين أصحاب الشذوذ الجنسى فى الولايات المتحدة الأمريكية وبالذات فى نيويورك ولوس انجيلوس وسان فرانسيكو، وأوضح الباحثون أن المرض ظهر لأول مرة سنة ١٩٧٨ عند خمسة من الشواذ جنسيا فى نيويورك ، ولأن أول ضحايا المرض كانوا من الشباب ، لذلك سُمى المرض GAY SYNDROME أى " مرض المرح " وبعد ذلك بقليل أنتشرت التسمية Gay Related Immunety Deficiency .

نتيجة الملاحظات الخطيرة غير الطبيعية على جهاز المناعة عند المرضى. ومع الوقت سُجلت إصابات جديدة عند المدمنين ، والمصابين بنزيف الدم ، وعند أشخاص موطنهم الأصلى أفريقيا . وصارت التسمية العالمية للمرض AIDS من الكلمات الانجليزية الأولية المقابلة Acquired Immunity Deficiency Syndrome . بمعنى "مرضى نقص المناعة المكتسب " .

وقد ساعدت الزيادة الكبيرة فى أصابات الأيدز فى الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا على جذب أنتباه الهيئات المهتمه بالصحة العامة وعلى سرعة تحركها . فبدأت فى تنظيم مراكز بحثية لاتنام فى دول مختلفه وفى هذه المراكز المتخصصة بدأ العلماء فى تطبيق وسائل دراسية مختلفة لإكتشاف طرق مواجهة المرض .

أيضا قامت هيئة الصحة العالمية بتنظيم عدة لقاءات ، كان أولها فى جنيفا سنة ١٩٨٣ . وفى هذه اللقاءات أعترف بالدور الرئيسى لمنظمة

الصحة العالمية فى مواجهة مرض الأيدز والوقاية منه . وكل دول العالم تقريباً قبلت إرشادات هيئة الصحة العالمية والخطة العامة للعمل فى مواجهة هذا الخطر لكن حجم مشكلة مرض الأيدز تضخم جداً ويعترف به أنه على رأس قائمة مشاكل الصحة العامة فى أمريكا وأيضا فى دول أخرى بأوربا وأسيا وأفريقيا .

والنتائج المتوقعة لتطور المرض لا تسمح لنا لابالتفاؤل ولا بهدوء البال وبل على العكس تظهر الحاجة الماسة لاتخاذ قرارات تنظيمية تساعد على ايجاد الوسائل الفعالة لإيقاف سرعة انتشار هذا الوباء ، أو تقليلها على الأقل .

## ١- طرق انتشار الأيدز .

### ١- عند نقل الدم .

أى بنقل دم ملوث إما من مريض أو من مدمن أو بأستخدام أبر أو حقن مستعملة ملوثة . ونسبة العدوى عن طريق نقل الدم تتعدى ال ٩٠٪ .

### ٢- أثناء الحمل والولادة

وفى هذه الحالة قد تنقل العدوى من الأم المصابة إما الى الجنين أثناء الحمل به عن طريق الحبل المشيمى أو الى المولود أثناء ولادته إذا حدثت جروح له أو إلى الطفل بعد ولادته عن طريق الرضاعة . ونسبة انتقال عدوى الأيدز من الأم المصابة الى الطفل تبلغ ٥٠٪ من أطفال الأمهات المصابات .

**٣- عند الأتصال الجنسى**

حيث أن فيروس الأيدز ينتقل من الحاملين له إلـى الآخرين مـع السـائل المنوى والأفرازات الجنسية . والعدوى بمرض الأيدز عن طريق الأتصـال الجنسبى هـى مـن أشـد طـرق انتشـار المرض خطـورة ، فالشـواذ جنسـيا يمثلون المجموعة الريئسية من المصابين ونسـبتهم ، فـى السـنوات الأخيرة تجـاوزت الـ ٧٠٪ ولقـد لاحـظ الأطبـاء أن أنتقـال العـدوى بمـرض الأيـدز وأنتشـاره المتزايد يتناسـب تناسباً طردياً مـع الأنتشـار الواسـع للعلاقـات الجنسية بين الجنسين ، وإن هذه السـرعة المرعبـة فـى أنتشـار المـرض لـم تمهلمهم ( أى الأطباء ) حتى يقدموا وسائل الوقاية من المرض .

هذا وقد اكتُشفت أيضًا حالات أصابة كثيرة بالمرض فـى وسـط أفريقيـا وخاصة بين النساء والجوارى بسبب العلاقات الجنسية الحرة مع الكثيرين .

**٤- ولكن المدمنون يسـاهمون أيضًـا** : بدرجـة كبـيرة فـى أنتشـار مـرض الأيدز ففى بعض الدول مثل إيطاليا وأسبانيا ، احتل المدمنين المكانة الأولى فى طرق أنتشار المرض مجتـازين بذلـك نسـبة الشـواذ جنسـيا . وأصبحـوا مسئولين بدرجة كبيرة عن أنتشار المرض ونقله للأخرين وعن ظـهوره عند الأطفـال . ولقـد تشـكلت مجموعـات كبيرة لمواجهـة المـرض حسـب نسـبة انتشاره وهكذا فـان الشـواذ جنسـيا ، وأصحـاب العلاقـات الجنسـية الحـرة ، والمدمنين ، والذيـن نقـل اليهـم دم ملـوث ، والسـاكنين فـى أمـاكن توطـن المرض ، هؤلاء يشكلون الجماعات الأولى التى يلاحظ فيها تضاعف نسـبة إنتشـار المـرض . ويلـى هـؤلاء فـى نسـبة الإصابـة بـالمرض ، أصدقـاء المرضى ، وأولادهم ، والجوارى ، وعشاقهم .

## ٢- مشكلة الأيدز مشكله روحية كنسية

مواجهة مرض الأيدز ليست هى موضوع علم الطب وحده ، ولا هى أيضًا مشكلة اجتماعية حضارية فقط . بالتأكيد علم الطب يقوم بالدور الرئيسى فى مواجهة أى مرض - وهذا مهم جداً - وذلك ليس فقط بالتشخيص وحصر كل أسباب المرض ، بل وبتقديم وسائل العلاج منه أيضًا . ولكن فى حالة مرض الأيدز فإن أسباب المرض هى أصعب بكثير من تلك الأمراض القديمة التى دارت حولها أبحاث علم الطب . ودراسات الذين يهتمون بمرض الأيدز ومحاولة الشفاء منه ، تدخل فى مجالات وأبعاد واسعة جداً . ربما فى المستقبل - ونتمنى أن يحدث هذا بأسرع ما يمكن - يتمكن علم الطب من اكتشاف طرق للشفاء من مرض الأيدز . ولكن الأطباء لن يتمكنوا من النجاح فىالحد من أنتشار المرض ، إن لم يواجهوا الأسباب الرئيسية له ويعالجوها ، تماماً مثلما حدث قديمًا مع أمراض الطاعون ، والكساح والأوبئة الآخرى ، والتى كانت فى وقتها مثل جلدات الأسواط على ظهور الناس . فعلم الطب بتعاونه مع العلوم الأخرى، تمكن من مواجهة تلك الأمراض بنجاح ، ونفس الشىء يمكن أن يحدث الآن مع الأيدز . لكن لاشىء يمكن أن يمنع ظهور أى مرض آخر لا شفاء له . فقد جاءت أخبار تفيد بأنه قد ظهر فى الولايات المتحدة الأمريكية مرض أسوأ من الأيدز - هو مرض الأنفلونزا " Giopi " كوباء معُدى له عواقبه المخيفة على الجهاز الذهنى والعصبى وعلى حركة الإنسان .

لهذا سوف نعيد القول بأن مرض الأيدز ليس هو ، شأن الطب وحده ، وليس هو موضوع إجتماعى - سياسى فقط ، لأن المرض لا يعرف حدوداً وأوطانا ، ولاسياسات ، وأحزاب وحكومات.

من كل هذا نصل الى قبول الراى بان مشكلة مرض الايدز هى مشلكة روحية وكنسية ولاهوتية قبل كل شىء . وعلى هذا الأساس فالكنيسة المنظمة جيداً والنشطة والتي لها نظرتها اللاهوتية السليمة سوف تستطيع أن تساعد على الوقاية من المرض بطرق مضمونة وعلى مساعدة الذين يعانون من هذا المرض على اجتياز مشاكلهم وعلى مواجتهتا بطريقة واقعية .

فبينما ينشغل الطب بتشخيص المرض ومحاولة شفاء الإنسان الحامل للفيروس أو المصاب به ، تعترف الكنيسة وتؤكد أن مرض الأيدز يكشف عن الحياة الخاصة للإنسان ، وأن ظهوره يفترض أن هناك موقفاً مسبقاً قد أتخذه المريض تجاه أخيه الإنسان ، وتجاه الحياة البيولوجية ، وتجاه الله . فالبيئة كلها التى نما فيها فيروس الأيدز لها علاقة بالمعنى العام لحياة الإنسان وبهدف وجوده .

وحيث أن المرض يرتبط مباشرة بصحة الانسان وبأمراضه الباطنية ، وعلى نطاق أوسع ، يرتبط بصحة المجتمع ، لهذا فمواجهة مرض الأيدز لا يمكن أن تكون بدون أن يؤخذ فى الاعتبار معنى حياة الانسان من جانب، والمشاكل الإجتماعية للمجتمع من جانب أخر . بكلمات أخرى فان مرض الأيدز يظهر مرض الروح عند الإنسان خاصة وعند المجتمع عامة، فاللحظة التى فيها يهدد مرض الأيدز صحة الأنسان بخطر الموت المباشر ، هى أساساً لحظة أختبار للعلاقات الشخصية ، ولحظة امتحان للتحقق من إنسانيتنا ومن محبتنا بعضنا لبعض . ولقد صار من الواضح الآن أن مرض الإيدز هو تهديد لكرامة الأنسان .

هكذا فالكنيسة بمواجهتها للأسباب الرئيسية لمرض الإيدز تصير في الحقيقة ، عند الذين يعانون منه أفضل علم طبي شفائي ، وأفضل جراحة إذ هي لا تنشغل بالمرض فكرياً ، وتاريخياً ، وحضارياً بل تنشغل بجوهر المشكلة .

من كل ما ذكر سابقًا ، تتضح لنا الرؤية والطرق التي يمكن أن تواجه بها الكنيسة مرض الأيدز . فكلمة الكنيسة في هذه المشكلة أساسية وواقعية وصعبة . لأنها تواجه سحابة غزيرة من المشاكل المعاصرة ، والتي تتعلق بوجود الإنسان نفسه وبمجتمعه . وهناك من يتجاهل هذه المشاكل .

## ٣- أسباب مرض الأيدز

**١- فقدان الناس لطريقة الحياة الطبيعية .**

كما تقدمها الكنيسة الأرثوذكسية وكما تتمثل في تقاليد العائلة المسيحية

**٢- المفهوم الخاطيء للجنس والزواج**

كما تصوغه للأسف المدنية الكاذبة المريضة ، وبعض وسئل الاعلام الضالة ، والأثر السيىء للمجلات الهابطة .

**٣- طريقة حياة المتعة الشهوانية .**

التي انحطت بالانسان من كونه شخص له قيمة وهدف إلى مجرد فرد وأداة .

**٤- فقدان العلاقة الجنسية السليمة .**

هذه هي بعض الأسباب الأساسية التي تؤدي إلى مرض الأيدز وتعمل على سرعة انتشاره وبالتالي فأية محاولة لمواجهة مرض الأيدز ، بدون

أخذ هذه الأسباب فى الاعتبار هى محاولة ساذجة وغير مثمرة ، ولن يكون لها نصيب من النجاح بل سوف تصاب بخيبة أمل كبيرة .

الأمر الذى يجب ان نذكره وان نؤكد عليه هو انه من بعد ظهور أمراض القلب والسرطان ، يعتبر مرض الأيدز وبدون أى شك هو أكثر الأمراض خطورة ويؤدى إلى الموت الأكيد ، وقد سبّب مشكلة عالمية للصحة العامة كما أنه يهدّد كل التجمعات السكانية فى دول العالم .

## ٤- طرق الوقاية من مرض الأيدز

١- **بالفهم السليم للجنس** للأسف القاعدة الأساسية لمواجهة مرض الأيدز من جانب الحاملين له قد تحطمت تحت الشعار القائل " نعم للجنس ، لا للأيدز " .

إذ أن رأى المهتمين بدراسة العلاقات الجنسية فى الغرب واضح وهو أنه لا يمكن وضع ضوابط للممارسات الجنسية . وأعتقادهم هذا ناتج عن فكر خاطىء وهو : أن الإنسان هو جسد فقط ، هو فرد ، وحيوان . وأن ممارسة الجس هى عملية اتحاد بيولوجى فقط بين الجنسين ، ولازمه لكى يستنفذ بها الانسان طاقته .

لكن علم النفس الحديث والفروع العلمية الأخرى المرتبطة بـه ، وأيضا الباحيثن المتخصصين ينادون ويشددون على القول : بأن الوحدة بين الرجل والمرأة ليست جسدانية فقط ، ولكن هى أيضا وحدة مشاعر ونفس ، وروح

الإنسان لكى يوفق فى أية شركة ووحدة مع أخيه الإنسان يجب أن يتحرك ويجاهد على مستويات كثيرة ، أساسها المشاعر ، والنفس والروح.

وعندئذ فقط سوف يستطيع أن يتكلم بواقعية عن الوحدة مع الشخص الذى يحبه . المحبة – وفقا لتعليم الكنيسة ، ولتعليم علم الصحة الحديث وأيضا من حياة هؤلاء الذين يعرفون ماهى المحبة والذين يعيشونها فى حياتهم اليومية – هى تضحية ، هى إفراغ للأنا ، هى تجاوز للذات . هى البداية الجديدة فى العلاقات بين البشر والتى جاء بها إلى العالم ، الاله المتجسد كوصية جديدة .

المحبة تتصل عموماً بكل الجوانب الأدبية للبشر ، وتنظم خاصة ، علاقاتهم فى داخل المجتمع . المحبة المسيحية تهدف إلى إرضاء القريب ، فهى تعرف أن تعطى فقط " ولا تطلب مالنفسها " ( ١كو ١٣: ٥) ، بينما الجنس يتطلع إلى إرضاء الأنا ، وطالما يطلب الإنسان الجنس فقط فسوف يتجه كنتيجة ، أن تسود الفردية فى العلاقات الاجتماعية بين الناس .

منبع المحبة هو قوة الله التى بها يعمل فى العالم ، ومحبتنا لبعضنا البعض ليست سوى إنعكاس للمحبة الإلهية . القديس باسيليوس يقول : " إن المحبة هى قوة غزيزية ، وهى العمل الأساسى للانسان . الإنسان يحب بالطبيعة ، والمحبة نحو أخوته البشر هى قوة عامة فى النفس .المحبة هى السمة الطبيعية للكيان الإنسانى ، وطبيعة الإنسان نفسها تحضه على المحبة" .

إذن طالما أن هذا هو المعنى الحقيقى للمحبة وللجنس ، فكيف يمكن بالتالى تطبيق الشعار " نعم للجنس " بدون أن تصير هناك محاولة صادقة وأمينة لتحليل هذا الأمر ؟

إن اكتشاف معنى الحياة والحصول على المحبة الحقيقية هى أحسن وسائل الوقاية . كل واحد يهتم بالحياة البيولوجية ويطلب إطالتها خاصة عندما يكون له هدف ثابت فى حياته وعندما يعرف مسبقاً الأفتراضات المحتمله إذا تجاوز حدود احتمال طبيعته البيولوجية .

ومن جهة أخرى فما يقبله كثيرون من الناس فى العالم بخلط كبير ويسمونه الجنس ، أى الاتصال الجسدى بين أثنين ، إنما يتم اليوم بطرق عديدة ومختلفة ، أى لم يعد منحصراً فى العلاقة الطبيعية فقط بين أشخاص من الجنسين ، لكنه أمتد إلى العلاقة غير الطبيعية بين الشواذ جنسيا وصار يتم بطرق متنوعة .

هذه الحالات التى تمثل فهماً منحرفاً للجنس تسمح لنا أن نوصى : " نعم للجنس " فقط عندما يكون معروفا أن فيرس الأيدز ، بخلاف الفيروسات الأخرى ، ينتقل اساساً بالاتصالات الجنسية المنحرفة وبالعلاقات الجنسية الشاذة !

إنه من الواضح أن المؤيدين للشعار السابق " نعم للجنس ، لا للأيدز " لا يفهمون الجنس كشركة واتحاد نفسى وجسدى بين أشخاص من الجنسين. وإذ قد ظهر أن الكثيرين منهم قد استعبدوا لحالات معقدة لذا فهم لا يتجرأون على معرفة العفة والنضج الروحى.

ويوصى كبار العلماء فى أمريكا وأوربا اليوم بإصرار بالإلتزام بالعلاقة الطبيعية مع الزوجة فقط . وحسنا يفعلون فقد استجاب عدد كاف وبدون إنتكاسات .

أيضًا اليوم فى كل العالم الغربى تقريبًا يجرى الحديث عن عودة البشر إلى المتطلبات الروحية ، حيث يجدون فيها اكتمال علاقاتهم . وهذا يحدث

لأنهم يعرفون أن العلاقة الجسدية بين أثنين ، إذا انفصلت وانعزلت عن الاتحاد الروحى والنفسي ، هى فى ذاتها ليست علاقة كاملة ، وليست حالة توازن ، بل سوف تقود إلى تزعزع قداسة العلاقة الجنسية بين البشر .

الإنسان الطبيعى هو ذاك الذى توجد فيه وحده للجسد مع النفس والروح. لكن نتيجة الأستقلال الذاتي للجسد عن النفس ، وإرضاء رغبات الجسد ومتطلباته من ناحية ، والأستقلال الذاتى للنفس والجسد معاً عن الله من ناحية اخرى ، تتكون مشكلة كبيرة تحطم حتى هذه العلاقة الجسدية نفسها ، ولا تؤدى هذه الطريقة إلى إشباع الإنسان طالما أنها تتبعها نتائج سيئة مرعبة .

الجنس الحقيقى ، كهبة من الله للإنسان ، لا ينفصل عن الجوانب الرئيسية الأخرى للحياة الإنسانية . دوافع الجنس الصحيح عند الإنسان هى الحركة الطبيعية للامكانيات النفسية ومع حركة النفس والجسد يتحقق الإشباع للأحاسيس الباقية ، عندئذ فقط يمارس الجنس الحقيقى . وليس هناك شيء آخر يمكن أن يحل محله . بينما مع أى أنحراف للجانب الجنسي ، لن يعرف صاحبه أى إشباع حقيقى ، ولا أى مقياس للذة . وينتج عن هذه الحالة طلب ممارسة الجنس باستمرار ونهم جنسي شديد ولكن بدون توفيق .

أكثر الناس لا يقبلون استعمال وسائل الوقاية أثناء الاتحاد الجسدى إذ من الثابت أن هذه الطريقة تسبب انفصالا فى الوحدة الجسدية بين الأثنين .

والكنيسة الأرثوذكسية ليس فى استطاعتها أن تقبل حلولاً تفصل وحدة أعضائها ، وهى لا تستطيع أن تكذب ولا أن تخلق مواقف نفاق ورياء فى الحياة .

إن شعار ،" نعم للجنس ، لا للأيدز " يخفى ورائه أخطاراً كبيرة جداً إذ به يتحطم أعظم ماهو مقدس عند الإنسان ، يتحطم نفس هذا الكيان وتتكون نفوس غريبه يصعب اصلاحها .

هذه الحقيقة بدأ يعترف بها كثيرون من المصابين انفسهم ، إذ يقولون فى أسى " ماذا يمكن أن نعمل بحياة مثل هذه بعد ، لم يعد لحياتنا أى معنى " هذا يقولونه لأن الألم الذى يعانون منه هو أسوأ من الموت . فالمصابون أنفسهم قد أخذوا فى إدراك أن المشاكل الرئيسية فى الحياة، الروحية والكيانية ، لا تحل بمجرد اتحاد جسدانى بيولوجى فقط . وهذا بالتحديد هو ما تقبله الكنيسة وكثيراً ما أكدته وأعلنته وحتى من قبل الاصابة بمرض الأيدز .

لذلك يلزم أن نواجه الأمور بإخلاص . فالخطر على صحة الشباب واضح ، ويجب أن نكون صرحاء معهم وأن نخترمهم ، فشباب اليوم يعرف تقريبًا كل شيء بخصوص هذا الموضوع ، وهم أكثر من أى عصر أخر صرحاء فى العلاقات التى بينهم ، ولم يعودوا يقبلون النفاق وأزدواج الشخصية .

فى النهاية يجب أن نعرف ماهى الحكمة من الحياة ومن هو الحكيم الحقيقى حسب القديس غريغوريوس اللاهوتى " الحكيم ليس هو ذاك الذى يتكلم حسناً ، أما حياته فمخالفه لكلامه ، لكن هو ذاك الذى يعطى قيمة لكلامة بحياته ".

٢- **بالعفة ( ضبط النفس ) فى المسيح والأمانة لسر الزيجة** :بسبب نقص العلاج الوقائى والفعال لمرض الأيدز أضطرت هيئة الصحة العالمية إلى اقتراح استخدام كل وسائل الوقاية المختلفة مع الارشادات العامة . هذه

الوسائل تبنتها حكومات دول مختلفة . لكن الكنيسة بمبادئها الراسخة وتعاليمها الأزلية تختلف مع هيئة الصحة العالمية فى ذلك وترفض استخدام وسائل الوقاية والطرق المشكوك فى نتائجها - طالما أنها لا تقدم ضمانا مطلقا - كما أن الكثير من هذه الوسائل يأتى مضادًا لتعليمها .

الكنيسة تقدم الوسائل الأكثر ضماناً وفعالية ، وتقدمها بإخلاص وجُرأة نحو الكل : فتيانا وفتيات ، وشبابا من الجنسين ، ورجالا ونساءً ، وذلك عن طريق العفة والأمانة لسر الزيجة .

يقولون أن ضبط النفس لا يجب أن نربطه بالإمتناع عن العلاقات الجنسية لأسباب أخلاقية مختلفة ، أى لا يجب أن يكون ضبط النفس هو موقف خارجى للإنسان أمام اسباب أدبية ، هكذا ينادى الكثيرين اليوم .

ضبط النفس بهذه الصورة هو ضبط النفس الذى محوره الأخلاق الإنسانية وليس المسيح ، وله بعض القوانين التى تحكمة للسلوك الاجتماعى الحسن ، ويعطى فى النهاية صورة اجتماعية لازمة ولكنها كاذبة لأنها صورة خارجية فقط .

هذه الآداب التى مركزها الإنسان تسبب حالة من التوقف لبعض النشاطات البيولوجية الجسدية والمشاعر النفسية للإنسان والتى ترتبط بقانونية الحياة . المثل المواضح لحالة العفة الأدبية هذه هو كل منافق ، يتراءى أمام الناس كالإنسان المؤدب ، الفاضل ، المثالى والاجتماعى .

روحانية الكنيسة الأرثوذوكسية حسب تعليم آبائها ليس لها أية علاقة بالآداب السابقة التى مركزها الإنسان . فهى ترتبط بالآداب النسكية التى مركزها المسيح ، وتتشخص بها ( أى الروحانية والآداب النسكية فى الكنيسة هما شيء واحد ) .

هذه الآداب النسكية لا تتطلع لا إلى خلق مظهر خارجي للإنسان يتمشى مع قوانين السلوك الاجتماعى الحسن ، ولا إلى حالة امتناع عن الأنشطة البيولوجية الجسدية والنفسية له ، لكنها تتطلع إلى تجدّد الإنسان الداخلى وتجلى - الإنسان الخارجي ، أى إلى الكمال للإنسان كله .

لأنه فى داخل كل إنسان توجد قدرات وطاقات قد انحرفت بها البشرية. هذه يجب أن يعاد تجديدها وأن يعاد إصلاحها تماماً مثلما يحدث مع المحبة والجنس ، والتى هى غرائز فى الطبيعة الإنسانية ، لكى يظهر بها الإنسان محبته نحو الله أولا وبعد ذلك نحو أخيه الإنسان .أما البشرية اليوم فقد أنحرفت بهذه الطاقات وأساءت استخدامها . تعليم الكنيسة ونسك آبائها يقود كل إنسان مجاهد إلى مراحل النمو الروحى ودرجات الكمال المختلفة ، مثل نقاوة القلب من الشهوات ، والاستنارة ونقاوة العقل وفى النهاية التألّه . غريغوريوس بالاماس ، يلاحظ أنه " عندما يُبعد الإنسان فكره عن الله عندئذ يصير إمّا حيوانياً أو شيطانياً "" وعندئذ أيضًا يهجر ماهو طبيعى ويشتهى ماهو غريب " وينتهى بقوله " الذى يطيع الشهوات الجسدية بالفعل، يجعل نفسه عبدًا لها ولن يجد حدًا للشبع " . فالحياة الأدبية الشكلية ينقصها هذا العمل التطهيرى الاستنارىّ الإلهى . الإنسان الذى يسير فى صعود درجات النمو والكمال الروحى ، يقبل تدريجيًا عمل التطهير والاستنارة الإلهية حتى يصل الى حالة التجلى الكامل . هذا الإنسان الطاهر الناسك ، لا يعيش حياة لا تعرف الجنس بالمرة فمن الممكن أن يعيشها فى الزواج . وهناك أناس يعيشون هذه الحياة المستنيرة الناسكة ، بدون أن يكون لهم أية علاقة جنسية جسدية قط ويشعرون أنهم مرتاحون وكاملون ومستوفون لحاجاتهم. لأن قلبهم فى الحقيقة مملوء بالمحبة نحو الله ونحو

أخيهم الإنسان ، بينما ، على العكس ، وكما هو معروف يوجد أناس لهم الكثير من الخبرات والعلاقات الجنسية الجسدية لكن وبالرغم من كل هذا فهم فى الحقيقة لا يشعرون أنهم مشبعون جنسيا .

العجيب والمرعب : إن حالة هؤلاء الناس ليست نادرة ، وبالرغم من كونهم مرتبطين فى حياتهم بزوج واحد دائم ، إلاّ أنهم يعيشون العزلة ويشعرون كثيرًا أنهم وحدهم . ومن هذه العزلة وهذا الفراغ بدأ البعض منهم فى التحرك والانقياد إلى اختبار طرق اخرى للعلاقات "جنسية والاتصالات الجسدية ومع أشخاص آخرين يطلبون هم أيضًا أن يجدوا ملئًا للفراغ الذى يشعرون به والذى يعيشونه ويعانون منه . لكن محاولاتهم هذه كانت فاشلة لأن المشاعر فيها كانت كاذبة . فضبط النفس ، كما وصفناه سابقاً ، ليس هو فقط حالة ممكنه للإنسان بل هى أيضًا مفيدة وغير ضارة به ، وهذا مايشهد له العدد غير المحصى فى الكنيسة من جيوش المجاهدين والقديسين والنساك ، وأيضًا العدد غير المحصى والكثير من أعضاء الكنيسة المؤمنين الذين عاشوا العفة ويعيشونها كل يوم فى حياتهم . يصرح بذلك أيضًا علماء متخصصون لهم من الأهمية والمسئولية شهرة عالمية .

هناك بعض الناس يعتمدون على نظريات خاطئة هى على الأرجح نظريات مادية وغير معضدة علمياً مثل تلك التى لفرويد والمتعلقة بتفسير نشأة الدافع الجنسى عند الإنسان ويدعون أن ضبط النفس أمر يضر بالصحة وينادون علناً بأن العلاقات الجنسية قبل الزواج هى ضرورية ومسموح بها . فى الحقيقة هذه الآراء قادت تلاميذ فرويد إلى التحدث ليس فقط عن العلاقات الجنسية لكن وعن تروحن الإنسان أى جعله كله روحاً .

لكن ، وكما ذكرنا ، فالإنسان ليس جسدا فقط ، ولا روحًا فقط . وكل الآراء التى تعضد الواحد أو الآخر فقط هى آراء من جانب واحد وخاطئة لهذا يجب أن نتجنبها .

فالإنسان هو كيان ووحدة نفسية جسدية ، هو كله وحدة نفسية جسدية ، هو شخصية وليس حيواناً أو شيئاً ما . الدافع الجنسى ليس هو الإنسان كله، لكن على أية حال هو واحد من الوظائف الاساسية للإنسان والذى يجد تعبيره الكامل فى انسجام واتزان فقط داخل الزواج المبارك من الكنيسة ، وليس فى الوسائل المخالفة للضمير ، فى جنس رصيف الشوارع والسوق أو فى أية علاقات جسدية شاذة .

هكذا فالإتحاد مدى الحياة فى الزواج الواحد وعلاقة الرجل بإمرأته فى إطار هذا السر ، هى من أحسن وأضمن الوسائل للوقاية من مرض الأيدز.

**٣- بمعرفة الهدف الأساسى لحياة الإنسان .**

فى الكنيسة الأرثوذكسية وفى تعليم قديسيها وآبائها العظماء ، الهدف الأساسى لحياة الإنسان على الأرض ليس هو الزواج فى ذاته ولا البتولية فى ذاتها . لكن هو المحاولة الجادة لكل إنسان أن يجاهد روحيًا ليكتسب شركة مع الله ، وأن ينجح فى الاتحاد معه وأن يصل إلى حالة التأليه . *

* الهدف الرئيسى للزواج ، حسب تعليم الكنيسة وآبائها أن يكمل الواحد الاخر ، وأن يساعد الواحد الآخر ، أى تحقيق الكمال بتعاون الزوجين معاً ، والهدف الثانى للزواج هو إنجاب الأطفال . يقول ذهبى الفم : " الزواج أُعطى لنا لكى نصير متعففين لازناة ، ولنصير اباء والأهم هو الأول " ونفس المعنى يقوله الرسول بولس " بأن الزواج أُعطى للإنسان لكى يحفظ نفسه من الزنا " (١كو٧: ٢) .

فبالولادة الثانية السرية والروحية ، التى تقدمها الكنيسة وحدها بالحياة السرائرية ، يمكن لكل إنسان مؤمن أن يتجاوز الولادة البيولوجية وأن يعطى المعنى الحقيقى لهذه الحياة .فالكنيسة لا تتطلع لتحسين نوعية الحياة هنا لكن لبلوغ الكمال فيها وإلى تجاوز الموت الجسدى بعدها . بالإضافة إلى ذلك – كلنا نعرف جيداً – أن كل ولادة روحية ونفسية ترتبط إرتباطاً وثيقا ودائما بالألم .أيضا نعرف أن الناس الذين يخضعون وبسهولة لعبودية أحاسيس زائلة فى لحظة متعة ما – والتى ربما ترتبط بعض المرات بخيانة الشخص الأخر – هؤلاء يطلبون فى أى مكان آخر كل مالم يجدوه ، وكل الذى فقدوه فى علاقاتهم الجنسية وفى اتصالاتهم الجسدية – هؤلاء الناس يتطلعون إلى ان يقتنوا وأن يجدوا مايعتبرونه مفيداً ونافعاً لهما أى الاتحاد الجسدى ، والجنس ، والمال . لكن السعى وراء المنفعة الذاتية ووراء اللذة الخادعة يقود فى النهاية إلى عذاب مأساوى .

فى الحياة المسيحية الأرثوذكسية ، الجهاد لا يكون لإقتناء الأمور النافعة والمفيدة وقتيا ، ولكن لإقتناء الأمور الحقيقية والدائمة . والنجاح فى أمر ما يتطلب أن يمر صاحبه بآلام ، تماما مثلما يحدث مع الأم التى تستحق أن تتذوق الفرحة التى لا يُعبْر عنها بولادة طفلها الجديد بعد إجتيازها آلام الوضع. عندما يعيش المؤمن الحياة المسيحية، يمكنه أن يصل لا إلى الأمور المفيدة وإلى السعادة فقط ، بل وإلى الصلاح الكامل ، كل هذا يتم بجهادات وآلام ، وبتجنب الإرضاءات الجسدية الوقتية .

بالإضافة إلى ذلك ، فكثير من علماء النفس والاجتماع المتخصصين ، قد لاحظوا أن الإنسان يكون حقيقة إنساناً ، فى وسط الحرمان ، والتدريب الجسدى النسكى وطريقة الجهاد فى الحياة .

هكذا بحياة مثل هذه كما تعلمها الكنيسة ويعيشها مؤمنوها ، يستطيع شباب اليوم أن يجدوا الهدوء من اضطراباتهم وأن يملئوا الفراغ الذى يشعرون به فى داخلهم .

فضلاً عن هذا ، وكما هو معروف أن كل مرض هو علامة فى طريق حياة كل إنسان . بمعنى أن أى مرض جسدى ، عند الذين لهم اهتمامات روحية يمكن أن يساعدهم فى تحقيق هذه الاهتمامات . وعند غيرهم يعطيهم إمكانية أن يفتحوا آفاق فكرهم أكثر وعيون قلبهم أكثر وأن يروا الحياة والعالم بمنظار آخر . وهذا ماتؤكده حالات المتابعة للمرضى . فبينما يعانى مرضى الأيدز من آلام فهم يشعرون فى نفس الوقت بالضعف والتواضع ويندمون على حياتهم الماضية ، وعلى طريقة معيشتهم فيها التى أوصلتهم إلى هذه النهاية التعيسة .

فلا احد إذن يستطيع أن ينكر الحقيقة التى لا تقبل الشك إن المرضى والذين ينشغلون عموماً بمشاكل الصحة ، مثل الأطباء ، الكل يلجأ إلى الكنيسة لأجل التعزية ولأجل المساعدة الروحية بكل أشكالها . وخصوصاً فى أكثر لحظات الضعف البشرى حرجاً من شدة الألم واليأس . حقيقة كم من المرات لم تصدقوا فيها معجزات الشفاء التى رأيتموها بعيونكم بعدما استنفذت كل الامكانيات الإنسانية، وأيضًا كم من معجزات أخرى سوف ترونها .

إذن فالكنيسة هى الملجأ لكل الذين يشعرون بأنهم ليسوا فى آمان اطلاقا فحتى هؤلاء الذين يشعرون – ولو وقتياً – أنهم أقوياء إمّا بسبب المال الذى رصدوه ، أو بسبب السلطة والمجد اللذين نالوهما ، أو بسبب صحتهم الجسدية الجيدة . هؤلاء ينسون أن كل هذه الخيرات التى عندهم هى عطية

من الله ، وكم هى وقتية ، حتى أنه من لحظة إلى أخرى يمكن أن يفقدوها كلية وأن يفقدوا معها حياتهم .

الأطباء بالذات عندما يستنفذون كل إمكانيات المساعدة الإنسانية والمعرفة العلمية دون حدوث تحسن فى الصحة ، عندئذ يستغيثون بالله للمساعدة والرحمة ، وفيه وحده يضعون مع أقرباء المرضى كل آمالهم الباقية ، مؤمنين فى القدرة الإلهية القادرة على كل شىء وفى الرحمة الإلهية الفائقة الوصف .

**٤- بالتعليم عن الولادة وبالتربية الجنسية .**

هنا يجب أن يلاحظ ان السلوك الجنسى والتربية الجنسية عند الشباب ليست سليمة كما ينبغى . هذه حقيقة . فمعرفة الشباب بها لا تأتى لامن العائلة ، ولامن الوالدين ولا من كبار السن ذوى الخبرة فى العائلة ولا من المدرسة ، ومن الكنيسة ولا من الهيئات الأخرى المختصة .

لكن معرفتهم بالأمور الجنسية تأتى إمّا عن طريق الأصدقاء القريبين والعارفين ، أو عن طريق التلفزيون وخاصة من الأفلام غير اللائقة أو بواسطة مجلات ذات محتوى مشابه للأفلام ، أو من أى وسط له فيه خبراته الخاصة المنحرفة والخاطئة – وفى النهاية جزء صغير من الشباب يعرف عن الأمور الجنسية من الوالدين وخاصة من الام .

على أية حال وكما لاحظنا ، فالعائلة بحسب دورها الرئيسى هى تلك التى يجب أن تكون الأساس ، والمسئولة ، والنبع المضمون للإستنارة الجنسية للشباب . إذ أن العائلة هى عامل النقل الطبيعى للتربية الجنسية ولا يمكن أن يحل محلها عامل أخر . فعلى الوالدين فى هذا الموضوع الهام ،

تقع المسئولية الكبرى ، ولهم الحق المطلق فى تربية أولادهم جنسياً .
هؤلاء ( الوالدين ) يجب أن يكونوا أحسن المعلمين لأولادهم والأصدقاء المرشدين لهم . وبعد الوالدين يأتى دور الكنيسة والمدرسة والمعلمين ، والاساتذة ، وأيضًا الهيئات الاجتماعية الأخرى المختلفة .

وفى حالة موضوعنا هذا فإن دور العائلة لا يحل محله دور آخر ، فهو أساسى وضرورى للنمو النفسى والجسدى ، ولنضوج المشاعر ، والأخلاق والروح الاجتماعية عند الشباب . وهذا بسبب أن العائلة هى الخلية الرئيسية للمجتمع والعلاج الأكثر فاعلية لإدمان المخدرات وبالذات لمرض الايدز . فداخل العائلة السليمة والصحية يقضى كل طفل سنواته الأولى ، وسنوات المراهقة ، والتى تلعب الدور الرئيسى فى تشكيل شخصيته في كل مسيرة حياته فيما بعد .

كما أن الجو العائلى الهادىء الدافىء ، كما تهيئة العائلة المسيحية، يساعد الأولاد على أن ينمو طبيعيين ، متزنين ، ناضجين ، وقادرين على تحمل المسئولية ، ولهم ثقة فى أنفسهم ، ولهم شخصيتهم المتكاملة الحرة .

بينما على النقيض من ذلك ، فالعائلة ذات المشاكل ، والمفككة والتى ينقص أعضائها الترابط والشركة فيما بينهم هى أسوأ وسط ، يؤدى إلى نشوء أناس أمّا أصحاب شخصيات مزدوجة وليس لهم هدف واضح فى حياتهم ، أو أناس من مدمنى الخمور ومن الشواذ جنسيا ، الذين ينقاد الكثير منهم بطريقة أو بأخرى إلى إدمان المخدرات والإصابة بمرض الأيدز .

**٥- أراء خاصة بمرض الايدز والرد عليها .**

**أ- من الناس من يؤيد الرأى أن مرض الأيدز هو عقاب الهى .**

هذا الرأى ليس له مايسنده فى تعليم الكنيسة . لأن الغضب هو انفعال يخص الإنسان فقط ، بينما الله هو غير قابل للتألم أو للإنفعال . وعلى أية حال فالأقوال المكتوبة عن الله بخصوص الغضب مثل تلك التى لبولس الرسول " الأمور التى من اجلها يأتى غضب الله على أبناء المعصية " ( كو ٣: ٦) . هى على ألأرجح تعبيرات إنسانية عن الله لكى يصير مفهوما لنا كل مايقال عن الله من اختبار اتنا نحن الشخصية . الله ليس فقط لا يغضب لكن وعلى العكس يهتم ويحب البشر ، خلائقه : وبرهان محبته هذه أنه نزل إلى العالم ، وصار إنساناً ، وبذل نفسه بمحبة كاملة لأجلنا ولم يغضب حتى عندما صلبوه ولا حتى عندما نصلبه نحن باستمرار بحياتنا وسلوكنا .

ولكن حيث أن كل إنسان هو شخصية حرة وأى نوع من الحياة يختاره هو نتيجة لهذه الحرية ، لهذا فأية طريقة لحياته أيًا كانت هى على وجه الخصوص إختياره الشخصى . والإنسان نفسه ، بالحياة التى يختار أن يحياها ، أيًا كانت هذه الحياة ، هو المسئول فيها عن حالته .

فالذى لا يعيش حسب الطبيعة بل يعيش ضد الطبيعة وحياته ليست وفقا لإرادة الله هو نفسه يقبل نتائج حياته هذه وهو المسئول عن أعماله التى يعاقب بها نفسه .

مشلكة مرض الأيدز أساساً وعلى وجه الخصوص هى نتيجة انحراف عنصر الجنس عند الإنسان ، كما اوضحت ذلك نتائج الاحصائيات المنشورة . هذا الإنحراف الجنسى يحدث عندما يُعزل الجسد عن النفس

وينحصر معنى الجنس فى الأتصال الجسدى فقط ، ويقترف البشر بذلك أخطاء كثيرة ذات عواقب محزنة .

الكنيسة بالمواجهة السليمة للجنس وبوضعه فى أبعاده الحقيقية تُعطى لكل إنسان الإمكانية أن يجد المعنى الرئيسى لحياته .

. والجنس ، كما ذكرنا ، هو أمر عميق وجوهرى ولا يجب أن يفصل عن كل الوظائف الاساسية الأخرى المهمة لحياة الإنسان . الإنسان كخليقة الله - والذى هو المحبة - يملك غريزيا عنصر الجنس كقوة للاتحاد للآخر وللتعفف .

فحينما تعزل النفس عن الجسد ويكون التطلع لإرضاء الجسد فقط بدون النفس ، عندئذ حسب تعليم الكنيسة ، تتحطم شخصية الإنسان وطالما أن النفس تبقى فى حالة عدم رضى ، والإنسان لا يتحرك بدوره نحو الله ، لذا يفقد الإنسان الإنسجام النفسى الجسدى ويفقد العلاقة المتزنة له مع الله ومع الآخرين ، وينقاد إلى تقلبات وحالات شاذه لها عواقبها الوخيمة .

**ب- يوجد رأى وهو - خطأ ما بعده خطأ - يقول أنه يجب أن نجعل بلادنا متمشية مع البلاد المتحضرة فى الغرب .**

أى أن يتلائم مجتمعنا بكل مافيه من حياتنا الخاصة وتربيتنا وحياتنا الاجتماعية عموماً مع كل ماهو سائد فى المجتمع الغربى والذى نعتبره أكثر تحضراً . لكن هذه المجتمعات الغربية بشعار حياتها " الإنسان هو مركز هذه الحياة " وبتنكرها لكل ماهو روحى ، وأيضا بإبعادها الله من الحياة ، تساهم بشكل مباشر فى ظهور وانتشار طريقة الحياة الشهوانية ، والرفض لكل ماهو أدبى فى العلاقات بين البشر ، واللامبالاة ،

والمخدرات، والأيدز والأمور الأخرى الكثيرة والتي من السهل أن تدخل بلادنا مع الكثيرين من الشواذ جنسيا .

فضلا عن ذلك فأصحاب هذه الاتجاهات ، المشحونة بالآراء الغربية ، المقلدين بها الغرب فى كل طرق حياته ، مثل القرود فى التقليد ، هؤلاء لا يريدون فقط تبديل التقليد القديم الصحى والأصيل بطريقة الحياة الغربية بل ويحملون لنا مباشرة كل عواقب حياتهم المدمرة .

وكيف يكمن أن نقول فيما بعد أننا نجاهد ضد المخدرات وضد مرض الأيدز ونحن قد اخذنا فى فرض بل وفى تمجيد طريقة مثل هذه للحياة اليومية والتى تقودنا لا محالة إلى المخدرات والأيدز ، أى تقود شبابنا إلى الموت .

أليس هذا أسوأ أشكال الرياء ، والنفاق ، والتناقض والحماقة ؟

**ج- توجد أيضا مشكلة كبيرة تتعلق بمرض الأيدز . هى مشكلة مواجهة المرضى الذين يعانون من هذا المرض .**

فأحداث مختلفة قد أتت الى سطح الحياة أظهرت أنه فى حالة مرض الايدز فد استمر المتعاملون مع المرضى على قيد الحياة زمنا طويلاً ولسوف أذكر لكم حالة مرض الجذام القديم فاذا قرأنا نصوصا تتعلق بكيفية مواجهة المجذومين سوف نرتعب : فالنفى والعزلة ، والإحتقار والابتعاد . هذه كلها بعض الأمثلة لكيفية معاملة مرضى الجذام . أى ليس هناك محبة. فضلا عن ذلك بقيت لنا معلومة من القرون الوسطى حسب نصها " أنهم ألزموا مرضى الجذام بتعليق أجراس حتى يمكن للناس أن يغييروا طريقهم عندما يسمعون باقتراب المجذومين .

وقد نشر حديثًا حالة مريض بالأيدز ، فالمستشفيات لم تقبله للعلاج فى البداية ، وعندما قبلته وجد معاملة عصبية من الأطباء ، وطلب منه دفع مبالغ طائلة بداعى تنظيف حجرته ، كما عانى من العزلة الكاملة ، وكان عليه أن يأخذ طعامه من الممر حيث يتركه له هناك الممرض تجنبا للقائه .

أيضًا معروف لنا موقف الهيئات الاجتماعية التى ترفض أن تأتى فى شركة مع حاملى الأيدز لأنهم يخافون من العدوى بالمرض .

الأستاذ ثاناسيس بابا خريستو بكلية الحقوق جامعة أثينا وصف هذا الحدث أى الخوف والهستيريا العصبية التى تصاحب الذين يوجدون حول المريض ، أنه كميكروب العنصرية والفاشية ، يكتب واصفًا " أن ميكروب الأيدز يحمل معه ميكروباً آخر ، أشد خطورة منه وهو لا يحُصى بين الميكروبات ، أنه ميكروب الفاشية " ويضيف مشدداً على كلماته " وفى النهاية يتضح لنا أنه لا يوجد أدنى شك فى كيف أن فيروس الايدز يمكن أن يظهر أشد خطورة على حرية الإنسان وكرامته ، أكثر منه على صحته " .

هكذا يتضح أمامنا أننا كلنا مرضى ، البعض حاملين لفيروس الأيدز، والبعض الآخر حاملين لفيروس الكراهية وعدم الاهتمام . هذا بالطبع يتحرك عندنا من أسباب عميقة . وفى هذه النقطة يمكن أن يقال أن السبب هو طريقة حياة المجتمع . فمجتمع يعتمد على الفردية والذاتية، وعلى رفض كل ماهو أدبى ، وعلى اللامبالاه ، هو بالتالى مجتمع سوف يوجد فيه الناس الذين يعانون من هذا المرض . وحيث لا توجد محبة لله ولا محبة للناس ، فمن من تطلب التضحية وتجاوز الفردية بعد ذلك وكيف يطلُب من إنسان تعلم أن حياته الذاتية هى أعظم القيم،أن يقدم المحبة للناس.

الكنيسة تستطيع أن تساعدنا فى هذا الموضوع . ففى جو الكنيسة المنظم توجد المحبة الحقيقية التى تتجاوز الحياة البيولوجية والذاتية . فى تاريخ الكنيسة نرى كيف أن رهباناً ، قد أخذوا المجذومين فى قلاليهم لكى يعتنوا بهم . وهناك أيضا مسيحيون أخرون ، وضعوا أنفسهم بحرية تامة فى السجن أو فى النفى محل أشخاص آخرين . وهنا يبرز بوضوح موقف باسيليوس العظيم فى ضيعته الشهيرة إذ يعتنى بنفسه بالمجذومين . والقديس غريغوريوس اللاهوتى يذكر هذا الحدث قائلا " لم يتجنب المرضى ولم يحترمهم بالشفاة فقط ، بل كأخ لهم قبلهم مظهرا بهذا العمل قداسته ونموه فى الفضيلة وكرمه " يمكننا أن نتأمل فى هذا المنظر ، باسيليوس الكبير ليس فقط يعتنى بالمجذومين ، لكن ويقبل جروحهم ، ومتى ؟ فى عصر كان فيه مرض الجذام معُدّى ولا شفاء منه .

واليوم ، من .هؤلاء الذين يفترض أن لهم عقولاً كبيرة وحكيمة ويتطلعون أن يكون لهم رأى فى كل المسائل ، سيصل الى هذا الحد ، أن يعتنى هو نفسه بمرضى الأيدز ، بل وأكثر من هذا أن يُقبّل جروحهم لكى يظهر الإهتمام الخاص بهم ؟.

وبالتأكيد أن الذى يحتاجه كل الذين يعانون من هذا المرض أساساً ، هو المحبة والعطف ، ولهذا أومن أن مشكلة الأيدز هى قبل كل شىء مشكلة روحية لاهوتية .

## ثالثا : طرق ووسائل مساعدة الكنيسة إزاء مشكلتى المخدرات والأيدز

الكينسة الأرثوذوكسية تستطيع أن تساعد بفاعلية في هذا الإتجاه فهي تقدم وسائل قوية جداً ، بل نستطيع أن نقول وسائل وقاية مضمونة جداً . سوف نذكر ثلاثة منها فقط :

**الأول : هو الإيمان بالله**

ففى الكنيسة الأرثوذوكسية الله ليس هو قيمة مجردة وكائن ببساطة، يقيم فى السموات ، ومن هناك يدير العالم . بل أن الله هو شخص وأكثر من ذلك هو شخص حى . فى داخل الكنيسة ننال الاتحاد بالله والشركة معه، وبهذه الشركة مع الله يرتوى الإنسان العطشان روحيًا ، ويكتشف معنى وهدف وجوده . ولا يسقط فى الإحساس بالعدمية واللاوجود وإذ يعيش الإنسان هذه الشركة مع الله يتخطى ( الإنسان ) فرديته ويصير شخصاً ، والشخص هو الذى يحب الله ويحب أخاه اللإنسان ، وهذا يظهر كمال الإنسان .

**الثانى : هو أن الكنيسة الأرثوذوكسية تقدم تعليمًا شافيًا .**

به يتم شفاء الإنسان من الداخل . إنه الوقت المناسب جداً الآن الذى يجب أن تكون فيه الكنيسة هى مستشفى روحى ، يشفى الإنسان المصاب ، وليست مثل هيئة اجتماعية أو منظمة دينية . وعندما نتحدث عن التعليم

الذى يهب الشفاء ، فإننا نعنى به أن الإنسان بقوة نعمة الله وعملها يستطيع أن يحول كل قواه النفسية ، من الحياة ضد الطبيعة ، إلى الحياة حسب الطبيعة ، بل وإلى مافوق الطبيعة عندئذ يشعر الإنسان بالملء الداخلى ووجود أناس مثل هؤلاء اليوم يظهر لنا أن الكنيسة هى نعمة ورحمة من الله للبشرية .

**الثالث : هو أن الكنيسة تبارك الاتحاد بين الرجل والمرأة**

بسر الزيجة ، وهى إذ تربط هذا السر بسر الشكر الإلهى تُعطى للعلاقة الجنسية وضعها الحقيقى . ومن جانب آخر فسر الزيجة يُسمى سر المحبة.

وهكذا فالإتحاد المبارك بين شخصين ( الرجل والمرأة ) من ناحية، والعفة المباركة فى المسيح من ناحية أخرى ، هما من أقوى وسائل الوقاية ليس فقط ضد مرضى الأيدز ، ولكن ضد كل ايدز نفسى وروحى يتربص بنا لكى يصفى وجودنا الإنسانى ، ويلاشى جهاز المناعة الروحية للكيان البشرى ، ويحّول حياة الإنسان إلى حياة ليس فيها حياة .

لهذا فمشكلة الأيدز والمخدرات هى أساساً وفوق كل شىء موضوع لاهوتى . وكل الذين يزعمون أن الكنيسة ليس لها أى علاقة بالصراع ضد هذه المشكلة يظهرون فقرهم الروحى . وكل الذين يواجهون هذه المشكلة من جوانب نفسية واجتماعية وطبية فقط ، هم عميان بإرادتهم ويضيفون إلى ماهو موجود عندهم من رياء ، رياء جديد ، بل وخيبات أمل جديدة ، يزيد معها الألم والصراع .

# البعد السكونى لعمل الكنيسة الكرازى

للبروفسور خريستوس كريكونيس

أستاذ الآباء بجامعة تسالونيكى

ترجمة دكتور/ جوزيف موريس فلتس

## ١ - عمل الكنيسة الكرازى والبعد السكونى :

لقد قررت الكنيسة اليونانيه ، منذ عشرات السنوات أن تشترك بشكل فعال فى العمل الكرازى الخارجى ، ذلك لأنه يعتبر ضرورة ملحة لنشر كلمة الإنجيل حتى " إلى أقصاء السكونة كلها "

فبالرغم من مرور حوالى ٢٠٠٠ عام على مجىء المسيح للعالم فإنه يوجد حوالى خمسة بلايين * . شخص يعيشون اليوم فى جهل روحى ، لا

---

* حسب إحصائية عملت عام : ١٩٨٧ فإنه يوجد فى العالم حوالى

| | | |
|---|---|---|
| ١٨٣ | مليون ارثوذكسى يمثلون | ٧٣ر٣٪ |
| ٩٠٥ | مليون كاثوليكى يمثلون | ٤٧ر١٨٪ |
| ٤٩٤ | مليون بروتستانتى يمثلون | ٠٨ر١٠٪ |
| ٨٥١ | مليون مسلم يمثلون | ٣٧ر١٧٪ |
| ٦٧١ | مليون هندوسى يمثلون | ٦٩ر١٣٪ |
| ٣١٤ | مليون كونفوشى يمثلون | ٤١ر٦ ٪ |
| ٣٠٥ | مليون بوذى يمثلون | ٢٢ر٦ ٪ |

وبالتالى فحوالى ٢٨ر٣٢٪ أى ٠٠٠ر٠٠٠ر٥٨٢ر١ هم مسيحيون وحوالى ٧٢ر٦٧٪ أى حوالى ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٢٨ر٣ بمعنى ٢/٣ غير مسيحين وهذا المقدار عندما كان عداد سكان العالم حوالى ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٠ر٤ والأرقام لا تحتاج إلى تعليق .

يعرفون شيئاً بالمره عن رسالة المسيحية الخلاصية أو عن المسيح مخلص العالم الوحيد وهم ينتظرون سماع شهادة عن سر الخلاص بالمسيح.

وفى نفس الوقت فإن نمو العلاقات بين الكنائس ووجود الحوارات بين المسيحيين وممثلى العقائد والأديان ، أدى إلى وجود وجهات نظر جديدة بالنسبة لانتشار العمل الكرازى المسيحى .

ولهذا فاليوم بالذات نحتاج إلى أشخاص لديهم الحس الروحى والفكر العميق لكى يبذلوا كل جهودهم وفى إيمان شديد منتهزين الفرص التى تدبرها العناية الالهية لكى يقدموا كل غنى الأرثوذكسية الروحى لكل الشعوب ولكل ابن من أبناء الله وبالأخص هؤلاء البعيدين عنه .

لابد أن نتوجه برسالتنا للجميع ولكل واحد من أولاده ، لكل المسكونة . إنه لحق واضح لكل إنسان أن يسمع البشارة المفرحة ومن واجب الكنيسة أن تحمل رسالة الخلاص بالمسيح لكل العالم .

وموضوع العمل الكرازى ليس هو أمراً جديداً بالقطع . لقد كانت وصية المسيح لتلاميذه . كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا ( يوحنا ٢٠/ ٢١) هى أساس الإيمان والتقليد الأرثوذكسى وتنبع من طبيعة الكنيسة " جسد المسيح نفسه "

وهذه الوصية تعبر عن محبة الله للعالم وتبشر بالمسيح القائم من بين الأموات ، ولهذا فبتقديم البشارة المفرحة لكل البشر تدعوهم للمجىء للمسيح ولقبوله فى حياتهم .

وهكذا فالدافع للكرازة هو المسيح المصلوب القائم وهو أيضا يمثل فحوى هذه الكرازة لكل العالم . ففى سفر أعمال الرسل ، ذلك السفر التاريخى الذى يعبر عن إنتشار المسيحية فى عصرها الأول ، تجد الكنيسة

أساساً لهذا العمل الكرازى ، تجد دعوتها لممارسة هذا العمل وخصوصاً فى العصر البيزنطى حيث نشط العمل الكرازى بصورة واضحة .

ولقد ساهم أباء الكنيسة الكبار فى العمل الكرازى هذا ، وعلى وجه الخصوص سنذكر ماقام به القديس يوحنا ذهبى الفم ( ق ٤) الذى نظم عملاً كرازياً وسط شعوب كثيرة مثل الفينيقيين ، وفى بلاد الغوط ، وفى كيليكيه ، وفى ارمينيا ، وفى سوريا ، وفى إيران ، وفى بلاد مابين النهرين ، وأيضا بلاد العرب والنوبة وبلاد الحبشة . ولدينا معلومات من كتاباته[١] ورسائله أنه كان يعمل دائما بروح مسكونية ولم تمنعه العوائق والصعاب من أن يستمر فى عمله الكرازى .

حتى حينما كان فى المنفى وحيداً فى أتعابه وأمراضه لم يتوقف لحظة عن اهتمامه بالعمل الكرازى . فقد كان يرسل نقودا وهدايا ومعونات من التى تصله من أصدقائه فى إنطاكيه والقسطنطينيه إلى العاملين معه فى العمل الكرازى .

نذكر أيضا إن بعض الآباء قد توجهوا بعملهم الكرازى نحو بلاد الشرق الأقصى فوصلوا فى القرن التاسع إلى بلاد الهند ، وبلاد المغول ، وإلى بلاد الصين . وآخرون توجهوا إلى دول البلقان مثل بلغاريا والصرب وإلى رومانيا ، ومولدافيا وإلى روسيا . بل إنهم امتدوا باشعاعات العمل الكرازى حتى أخر حدود أوربا الغربية فوصلوا إلى بلاد الانجليز[٢] والى بلاد السويد . ومن ناحية اخرى فلقد انتشر العمل الكرازى بين الشعوب الوثنية

(١) PG 52, 732-733 - PG 52,636-637 - PG 52,637- 638 .

(٢) انظر K.latourelhe تاريخ انتشار المسيحية جزء الثانى ، لندن ١٩٣٨ ص ٧٥-٧٦ .

طوال فترة الحكم البيزنطى ، وبالرغم من الصعوبات التى واجهته فقد حقق نتائج طيبه للغاية ، وهذا يدل على أن الكنيسة لابد وأن تمارس عملها الكرازى فى كل العصور بغض النظر عن الصعوبات التى يمكن ان تواجهها . وبالتالى فإن العمل الكرازى الناجح فى وسط الشعوب الوثنية هو واجب الكنيسة ودليل على حيويتها وقوتها .

إن من يدرس تاريخ الكنيسة فى القرون ٤ ، ٥ ، ٦ وما بعدها سيلاحظ أن العمل الكرازى قد امتد وبإصرار بين الشعوب الوثنية .

فعلى الأخص نلاحظ أن المسيحية قد انتشرت فى أرمينيا بواسطة غريغوريوس المنّور فى القرن الرابع الميلادى .

فى إيران ، انتشرت المسيحية بواسطة الأسرى المسيحيين ، ولكن بصعوبة بسبب مقاومة الكهنة الوثنيين . وفى المجمع المسكونى الأول تواجد بين الأساقفة أسقف إيران كما تشير كتب التاريخ ، وذلك يدل على أن المسيحية قد انتشرت هناك من القرون الأولى . وفى القرن الخامس وصل عدد إيبارشيات ايران إلى ٥ وعدد الأساقفة ٣٠ وكانت كنيسة منظمة[٣] .

أيضا فى القرن الرابع كان العمل الكرازى نشيطا بين الشعوب العربية وذلك عن طريق التجار من بيزنطة أولا،وبعد ذلك إرساليات من رهبان من سوريا وفلسطين.ومن بعد القرن السادس نشط هذا العمل بصورة مكثفة .

وتدلنا وثائق تاريخية أخرى على أن المسيحية قد وجدت منذ القرن الثانى الميلادى فى بلاد شبه الجزيرة العربية ، فنحن نقرأ فى هذه الوثائق

---

(٣) ذهبى الفم الرسالة ١٤ PG 52,618

عن زيارة أوريجينوس حوالى سنة ( ٢٤٠م) لواحدة من أهم الابيارشيات التى كانت موجودة بالمنطقة فى تلك الحقبه وهى أسقفيه Bostron( البصرة) ومقابلته للأسقف verulo ( فيرلو ) . وفى القرون التالية استمر العمل الكرازى فى تلك البلاد بواسطة رهبان من بلاد مختلفة ومن بينهم رهبان من إثيوبيا . وإلى إثيوبيا أرسل بابا الاسكندرية فى القرن الرابع الميلادى البابا اثناسيوس ، أرسل الاسقف فرمنتيوس وقد قام هذا الأسقف بالعمل الكرازى فى حماس شديد أولا فى بلاد اثيوبيا ثم بعد ذلك فى بلاد اليمن .

ولقد بدأ العمل الكرازى فى بلاد اليمن عن طريق مملكة إثيوبيا ذلك لأن سيطرة اليهود فى بلاد اليمن كانت شديدة والوجود المسيحى قليلاً جداً ولم تكن هناك فى البدء أية أنشطة مسيحية .

هذا ولقد واجه الأسقف فرمنتيوس صعوبات بالغة تمثلت فى وجود مقاومة من العناصر اليهودية الموجودة بالبلاد وخصوصاً من معلم الناموس **Ervan** إرفان (٤) وربما وعلى مايعتقد ، فإن المصادمات التى كانت تحدث بين اليهود والمسيحيين تسببت فى المصادمات الدينية بين السكان العرب الأمر الذى ربما ساعد بعد ذلك على ظهور الإسلام . وفى النهاية نجح الأسقف فرمنتيوس فى تخطى كل الصعوبات وفى نشر المسيحية فى تلك البلاد وفى تنظيم الأمور الكنسية بها ، فقد قام بسيامه الأساقفة والكهنة فى أماكن مختلفة وبمساعدات مالية من السكان هناك وشيد كثيراً من الكنائس لخدمة الانشطة الروحية لشعوب تلك المناطق .

أما فى اثيوبيا وكما يخبرنا سفر أعمال الرسل (٨:٣٨) فإن الخصى

---

(٤) غريغوريوس PG 86.1.621A- 784 B.

الحبشي وزير كنداكة ملكة الحبشة قد تعمد على يد فيلبس ومنذ القرن الرابع فإن الحبشة قد قبلت المسيحية وذلك عن طريق الأخوين فرومنديوس [٥] وأيديسوا وأيضا عن طريق رهبان من مصر وهكذا وصلت المسيحية فى القرون التالية الى مناطق إثيوبيا ، والنوبة وشمال أفريقيا حتى حدود جبل طارق [٦] .

غير أن أهم النتائج وأثبتها نجدها فىمحاولات الكرازة داخل روسيا فى القرن التاسع الميلادى . فى ذلك الوقت قام الروس فى مواجهة الامبراطورية البيزنطية ، وبالرغم من نجاحهم عسكرياً إلاّ أنهم تعرفوا على المسيحية أكثر واعتنق معظم سكان كييف المسيحية فيما بين عام ٨٦٠ – ٨٦٦ حسب ما يخبرنا البطريرك فوتيوس الذى أقام لهم أسقفاً فى كييف[٧]

**٢- عمل الكنيسة الكرازى كوصية من الرب يسوع :-**

إن تاريخ البشرية ، حسب الكتاب المقدس وآباء الكنيسة لهو تاريخ العمل الإعجازى لله فى سر التدبير الإلهى من أجل خلاص الإنسان .

إن الكتاب المقدس يكشف لنا سر الخلاص العجيب وغير المحدود ، ذلك السر الذى كان " مكتوما فى الأزمنة الأزلية [٨] كما يسمية القديس بولس . وابتدأ الرب كلى الحكمة وكلى الصلاح فى كشفه . يصف لنا الكتاب المقدس كيف أن الله بعدما أرسل الأنبياء إلى العالم لكى يعدوا

---

٥- أثناسيوس الرسولى : دفاع عن نفسه فى قسطنديوس PG 25,633 B - 637 A

٦- K. latourctlc : تاريخ انتشار المسيحية جزء ٢ ص ٣٠

٧- البطيرك المسكونى فوتيوس PG 102. 737 ٨- رسالة روميه ١٦ : ٢٠

شعبه، أرسل ابنه الوحيد لكى يجدد الكل بسفك دمه الكريم من أجلنا على عود الصليب ، وبقيامته المقدسة وصعوده . إن حقيقة ذبيحة الصليب وقيامة الإله المتأنس لهما حدثان مؤثران فى تاريخ البشرية لأن بهما إستطاع الإنسان أن يصطلح مع الله وأن يقبل مواهب الروح القدس وأن يشارك فى حياة ومحبة الثالوث الاقدس . وربما توقع المرء أن تاريخ البشرية سيصل إلى نهايته بهذه الأحداث طالما لا يوجد سبب آخر لوجودها، ولكن الكتاب المقدس وآباء الكنيسة يعلمونا أن الله طويل الأناه ومن محبته غير المحدودة يريد أن يشترك جميع المؤمنين فى مجد وكمال الابن الكلمة المتجسد ، ولهذا أجل الله نهاية العالم وسمح باستمرار تاريخ البشرية لكى يستطيع كل من كانت أسمائهم غير معروفة لدينا ولكنها مكتوبة ، فى سفر الحياة ، أن يتحدوا بجسد المسيح القائم والممجد .

وهنا تكمن بالتمام أهمية وحتمية العمل الكرازى لأن الفترة مابين صعود الرب ومجيئه الثانى فى مجده ، أى الفترة التى نعيشها لابد وأن تكون فترة كرازة . هى فترة سماح ، يهديها الله لكى تُسمع فيها " البشارة المفرحة " " الإنجيل " تلك البشارة السارة عن خلاص الإنسان فى جميع أنحاء المسكونة ، لكى يستطيع هكذا أن يدخل المؤمنون إلى ملكوت الله أى إلى كنيسته .

إن " خلاص الله " (٩) بالمسيح يسوع يمكن أن يكون قد انتهى بقيامة الرب المتأنس ، لكن فى الواقع هو مستمرحتى يشمل كل الزمن وكل التاريخ. وخلال هذه الفترة فإن الرب القائم يختار من البشر من يستخدمهم كآنية له ويرسلهم " إلى كل المسكونة " لكى يدعو آخرين لينضموا عن

---

(٩) أعمال ٢٨ : ٢٨

طريق أسراره الإلهية إلى نبع الخلاص إلى جسده المقدس ، إلى الكنيسة .
إن العمل الكرازى هو وصية الرب نفسه الذى قال لتلاميذه :
" كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا " (١٠)
وفى الحقيقة فإن هذا العمل هو امتداد واستمرار لعمل المسيح التعليمى
فكما أرسل الله الآب ابنه الوحيد إلى العالم لكى يطلب ويخلص من قد هلك ، طالما يريد الإنسان أن يخلص ، هكذا أيضا فإن المسيح يرسل الكارزين إلى انحاء متفرقه من العالم لكى يطلبوا ويبحثوا عن ويخلصوا من يريدون أن يخلصوا .

ولهذا فيجب على الكارز أن يستفيد من فترة " السماح " الذى يهبها الله لكى يحمل " " رسالة الخلاص المفرحة " لكل الأمم ، لكل الشعوب لكى يقودهم إلى بيت الآب الواحد .

**٣- عمل الكنيسة الكرازى واجب ورسالة :**

بالرغم من أن الكنيسة الأرثوذكسية قد واجهت اضطهادات واضطرابات داخلية كثيرة ، منذ قرون طويلة ، بل وأعداء من الخارج كثيرين ، إلا أنها لم تهمل واجبها نحو العمل الكرازى .

بالقطع نحن نقصد بالعمل الكرازى ، العمل الرعوى للكنيسة بصفة عامة ، مثل العمل التعليمى ، وكل الأنشطة الأخرى لخدمة البعيدين عن الله ولا يعرفون شيئا عن كلمته ، وهذا مانسميه العمل الكرازى الخارجي .
ولكن هناك نفس الخدمة لهؤلاء الذين هم داخل الكنيسة ويعيشون فى حالة من الفتور الروحى وفى بعد عن حياة الكنيسة ولهذا نسمى هذه الخدمة

---

(١٠) يوحنا ٢٠ : ٢١

بالعمل الكرازى الداخلى .

إن الباعث الرئيسى للعمل الكرازى هو الحالة المأساوية التى وصل إليها الإنسان لابتعاده عن الله [١١] وهكذا بعد ما كان الإنسان سيد الطبيعة أصبح مستعبدا لشهواته ولأركان العالم [١٢] وذلك العالم الذى يرأسه الشيطان [١٣] . فحسب الكتاب المقدس ، فإن الإنسان بعيدا عن الله هو من الفجار [١٤] ، وهو من " غير المؤمنين " وهو من " الخطاة " وبهذا الشكل فهو " بعيد عن حياة الله (أف ٤ : ١٨) فهو مستوجب الموت ( رو١: ٣٢) بل هو ميت بالفعل (أف٢ : ١) .

وبينما أن الباعث للعمل الكرازى – كما قلنا سابقا هو الحالة المأساوية التى وصل إليها الإنسان فى بعده عن الله فإن علة العمل الكرازى هو الله نفسه الذى هو فى جوهره محبة [١٥] ومن محبته خلق الإنسان وهو مستمر فى محبته له والعناية به حتى فى بعده عنه – إن محبه الله للإنسان تظهر فى اهتمامه به ، وفى رغبته لخلاص الإنسان الخاطىء كل على حده أو جميع البشر معاً وبالتالى فإن الله نفسه يريد منا العمل الكرازى لأن هدفه يتطابق مع رسالة المسيح للعالم والتى هى خلاص الإنسان البعيد عن الله وخضوع الكل للآب السماوى " ليصبح الله الكل فى الكل "[١٦] . وهكذا نستطيع أن نقول أن الله نفسه هو أول من وضع خطة التدبير الإلهى لأجل

---

(١١) * افسس ٢ : ١٢ (١٢) * غلاطيه ٤ : ٣ (١٣) * يوحنا ١٢ : ٣١

(١٤) * رومية ٥ : ٦ (١٥) * رسالة يوحنا الاولى ٤ : ٨

غريغوريوس اللاهوتى مثال ٢٢ . PG 25.1136 A

(١٦) * اكو ١٥ : ٢٨ .

خلاص ورجوع الإنسان الخاطيء إليه ، أى أنه هو أول من مارس العمل الكرازى هو أول من أعد الإنسان بالناموس الطبيعى وبعد ذلك أكمل إعداده باختياره لشعب الله والذى أعلن له ذاته روحياً . وعندما جاء ملء الزمان وجاء المسيح إلى العالم حينئذ ظهرت واضحة مفاعيل الأقانيم الثلاثة للثالوث الأقدس .

وجدير بالملاحظة أن الكتاب المقدس يحوى شواهد كثيرة للمشاركة الفعالة لأقانيم الثالوث الأقدس فى تأسيس العمل الكرازى أى فى عملية خلاص الإنسان .

فالآب حدد زمن التجسد وأرسل ابنه إلى العالم لأنه يريد حقاً خلاص كل البشر بدون تمييز بين الأجناس أو الألوان طالما أن الكل هم أولاده ، وبخلاف ذلك ، فلو لم يكن قد أحبهم ، لما كان قد خلقهم ولما كانوا محور اهتمامه .

إن أكبر دليل على محبة الله لنا هى تقدمة ابنه الوحيد للموت من أجل أولاده " *هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية* " وأيضا أن " *الله لم يرسل ابنه للعالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم* " (١٧)

فالابن فى مجيئه وفى تعاليمه وفى ذبيحته وفى قيامته قدم للعالم محبة أبيه وسلامه ، حياته الإلهية وخلاصاً للكل .

فمن فوق الصليب فإن المسيح هو ذلك الذى صالح بالحقيقة العالم بالله . وهو جمع كل الأبناء المتفرقين . وحقق الخلاص النهائى للإنسان .

---

(١٧) يوحنا ١٦ : ١٧

وأخيراً أكمل الروح القدس المعزى العمل الخلاصى للبشرية داخل الكنيسة وتمم العمل الذى بدأه المسيح على الجلجثة . ففى يوم الخمسين بدأ العمل الكرازى العظيم . والروح القدس يقوى ويرشد الرسل والشهداء ويقود الكارزين اليوم كما قاد الرسل فى جميع أرجاء المسكونه .

وهكذا بدأت مفاعيل الأقانيم الثلاثه فى العمل الكرازى ، من الآب والابن والروح القدس وهكذا تستمر هذه المفاعيل اليوم فاعلة فى خدام الكنيسة .

فالكنيسة ، جسد المسيح ، والتى تعيش تجسد الكلمة فى العالم ليست هى فقط فلك اوحظيرة (١٨) حيث يتجمع فيها كل المؤمنون ، فيجدون الأمان والحماية ، ولكنها تشترك بفعالية فى نشر كلمة الله لكل الأمم . إن وصية الرب " إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم (١٩) وأيضا " أذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها " (٢٠)

وأيضا ماعبر عنه فى الصلاة الختامية " كما أرسلتنى إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم ( يو ١٧: ١٨ ) كل هذا يدل على مهمة ورسالة الكنيسة ويحدد بشكل واضح طبيعة عمل الكنيسة الكرازى .

إن الرسل وتلاميذ المسيح لم ينفذوا وصايا المسيح هذه مباشرة لأنه كان يجب عليهم أولاً أن يلبسوا قوة الروح القدس وبعد ذلك يمكنهم أن يصبحوا

---

(١٨) يوحنا ١٠ : ١٦ (١٩) متى ٢٨ : ١٩ (٢٠) مرقص ١٦ : ١٥

شهوداً للعمل الخلاصي للرب فـي أورشليم وكل اليهودية والسامرة وإلى أقاصى الأرض [٢١]

لقد كانت رسالة التلاميذ هى أن يبشروا بالإنجيل إلى جميع الأمم وأن يعمدوا على اسم الثالوث كل من يؤمن [٢٢] وهكذا فبتنفيذ هذه الوصايا الإنجيلية بواسطة الكارزين نجد أن المحبة النابعة من الثالوث المقدس قد غمرت كل البشرية من الآب إلى الابن ومن الابن إلى الروح القدس وبالعمل الكرازى للكنيسة لكل البشرية . ومن ناحية أخرى فليس هناك أى اشارة في الكتاب المقدس تدل على أن الحياة المسيحية يجب أن تحد فى مكان أو أن تكون بمعزل عن الحياة اليومية .

إن تعاليم السيد المسيح عن ملكوت السموات تركز على محبة الله وعلى عمله الخلاصى فى تاريخ البشرية ولهذا فإن رسالة المسيحية المفرحة لا يجب أن تحد فى مجالنا ولكن لابد أن يُبشر بها لأولئك الذين لا يعرفونها .

أما الشيء الذى لا تقدر ولا يجب أن تعمله الكنيسة هو أن تخرج برسالتها الإلهية فى مطامع سياسية أو عرقية . فإن فعلت هذا فستكون قد انكرت الصفة المسكونية والقدسية لرسالتها . لأن حياة الكنيسة هى نفسها عمل الرب . فالعمل الكرازى ليس هو من أهم أعمال وأنشطة الكنيسة بل هو يمثل عنصراً أساسيا فى كيان الكنيسة ذاتها .

(٢١) *١ع ١ : ٨ (٢٢) * مت ٢٨ : ١٩

### ٤- عمل الكنيسة الكرازى كوسيلة لتغيير وخلاص العالم .

إن حياة الكنيسة حسب طبيعتها ورسالتها هى ممتدة للخارج لجميع البشر الذين ينتظرون خلاصهم . فطالما إن حياتها هى خلاصية ، هى الحياة الجديدة فى المسيح لكل العالم ، فإن الكنيسة هى كرازية ولكل المسكونه .

وسيكون من الخطأ الجسيم أن نظن أننا نقوم بعمل كرازى عندما نتناقش فى موضوعات اجتماعية أو عندما نساعد فى برنامج تعليمية وغيرها للذين هم خارج الكنيسة .

ان هذه الوسائل لا يجب أن تعتبر وسيله للكرازة رغم أنها تدخل ضمن أنشطة العمل الكرازى بصفة عامة . أيضا فالهدف ليس هو الوعظ بالإنجيل فقط أو عرض التعاليم المسيحية . أن هدف العمل الكرازى هو تأسيس الكنيسة بالمعمودية والشركة الافخارستية مع كل العالم . إن العمل الكرازى هو فقط التبشير بالخلاص القائم على الإيمان بالمسيح يسوع ، ودعوة الوثنيين فى كل العالم لكى يشتركوا بنعمة الروح القدس فى هذا الخلاص .

إن حاجة من هم خارج الكنيسة لسماع كلمة الله ، لسماع إنجيل الخلاص لهى عظيمة جداً ، لكى يتوبوا ويرجعوا فيصيروا أعضاء فى الكنيسة . إن هذه الرسالة لابد وأن تصل للجميع وبطريقة بسيطة بدون أن نربطها بالمساعدات والتقدمات . لأن الذين لا يعنيهم الدين وغير المؤمنين لن يؤمنوا بسبب الأعمال الخيرية التى تسبق أو تتبع العمل الكرازى أو بسبب المستوى الأفضل فى الحياة الذى يقدمه لهم الكارزون ، سوف

يؤمنون فقط عندما تنتقل اليهم النعمة المحيية ويبشروا بكلمة الله لكى يقبلوه بالأسرار فى الكنيسة .

سيكون العمل الكرازى بينهم هو أن تنقل لهم الحياة الإلهية التى توزع داخل الكينسة والتى يُعبر عنها فى الحياة السرائرية وبالبشارة بكلمة الله بنعمة الروح القدس .

محاولة العمل الكرازى تتطلب رفع الحدود ليصل الكارز المسيحى الذى يترك وطنه وحضارته إلى أناس مختلفين عنه يعيشون فى مجتمعات بدائية ليكرز لهم بانجيل المسيح – ولكن هناك حدود لابد وان تُعبر خلال عملنا الكرازى وسط عالم لا يبالى بالدين .

فعلى كل مؤمن أن يؤدى دوره المهم داخل مجتمعه الذى يعيش فيه ، ليس بعيداً فى بلاد لا يعرفها وبين شعوب بدائية لكن فى مكان عمله ، فى مكتبه وفى مصنعه ، في المتاجر والمحلات ، المدرسة ، فى الحقل وفى الشارع وفي جهاده من أجل السلام والعدل وفى علاقاتنا الاجتماعية . فى هذه الاماكن لابد وأن نعطى شهادة عن كلمة الله بين غير المبالين بالدين ومن ليس لديهم فكرة صحيحة عن عقيدتنا الارثوذكسية .

إن العمل الكرازى هو عمل مبنى على الإيمان والرجاء والمحبة تجاه المسيح أولا ولكل إنسان ثانيا ذلك الإنسان الذى لا يعرف شيئا بالمرة أو

يعرف القليل جدا عن المسيح . ومن يعمل فى ذلك الحقل يصير حقاً تلميذا للسيد المسيح ، يصير رسولاً .

**٥- مقدضيات لعمل الكنيسة الكرازى .**

**أ- محبة للعمل الكرازى**

قاعدة أساسية لعمل الكنيسة الأرثوذكسية الكرازى هى المحبة والأخوة تجاه غير المسيحيين ولهذا السبب فإن الشعور الأرثوذكسى لم يكف أبداً على أن يشعر شعور الأخوة بالنسبة للأخرين وبالتالى فالكنيسة هى كنيسة كارزة .

**ب- معرفة التعاليم المسيحية الاجتماعية .**

على من يعملون فى هذا الحقل أن يعرفوا كل أبعاد المشاكل الإجتماعية فى الأماكن التى يعملون فيها . ولو أهملوا الحلول التى تقدمها المسيحية للمشاكل الإجتماعية لن يستطعيوا أن يعطوا حلولا أو أجابات مقنعة وبالتالى لن تنجح رسالتهم ولابد أن تسبق رسالة القيامة والخلاص أى عمل إجتماعى آخر . لابد وأن نعطى اهمية أكبر لعتق الإنسان من الخطية والتى هى مصدر كل شر إجتماعى وبعد ذلك نهتم بكل ما يساعد فى تطور عمل وحياة من نكرز لهم .

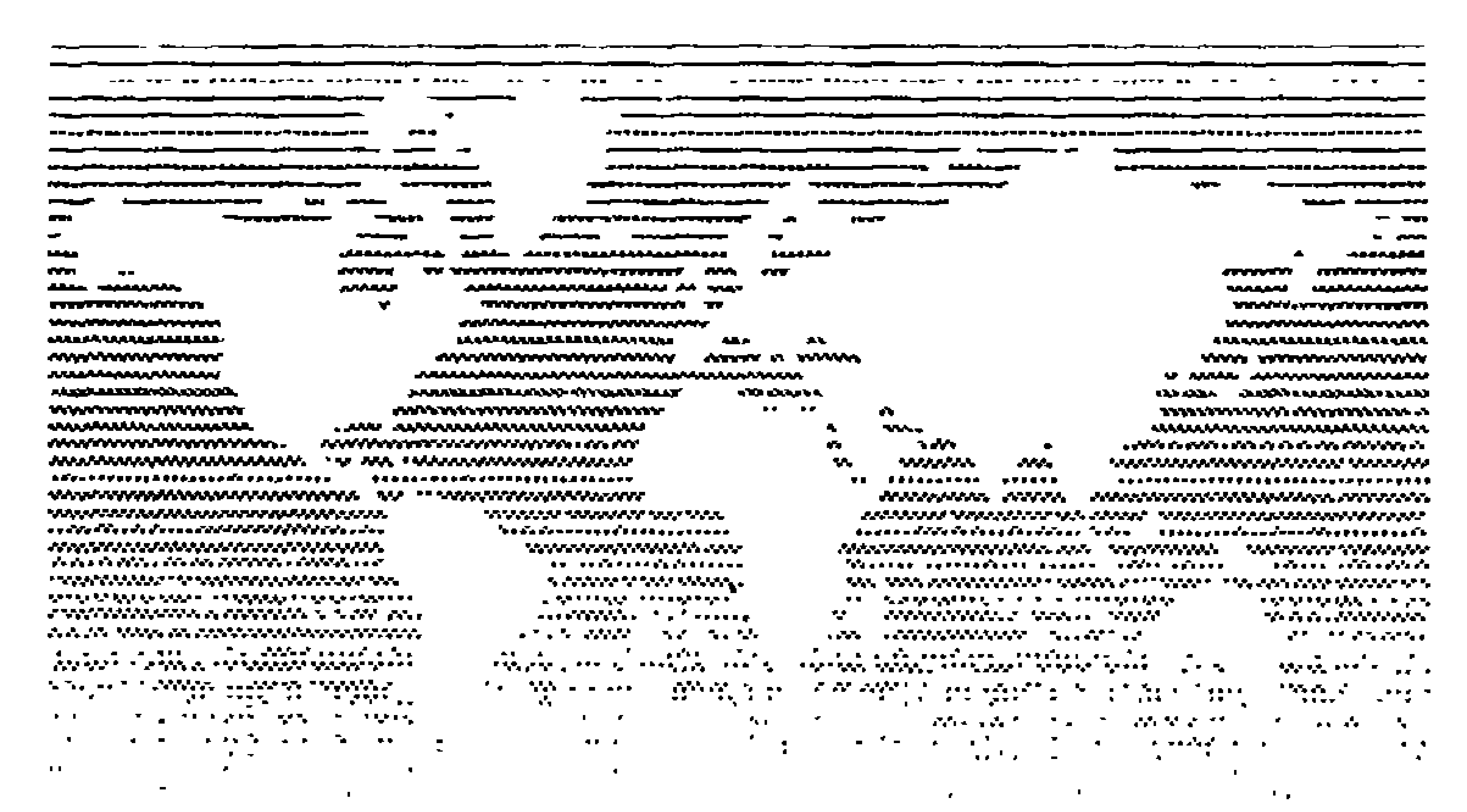
**ج- الاهتمام بالحالة النفسية للشعوب .**

على العاملين فى مجال الكرازة أن يعرفوا جيدا نفسيات الشعوب التى يخدمون بينها ، على سببل المثال ما يشعر به الملونون من صغر نفس تجاه

البيض . لهذا فلا بد للكنيسة الأرثوذكسية أن تهتم بالمستوى التعليمي اللاهوتي للمحليين بهدف سيامتهم فيما بعد كهنة في كنائسهم .

**د- المستوى الروحي للكارز**

وهو من أهم الشروط التي يجب أن تتوافر في الكارز ومع أن هذا الأمر هو أمر شخصي يخص الكارز في علاقته بالثالوث ولكن طالما أن عمله هو حوار بين الله والبشر بهدف نشر وامتداد ملكوت الله في كل العالم لمجد أسم الثالوث المقدس في كل الأرض ، فبالتالي فطريقة حياة وتصرفات الكارز لابد وأن تتخذ من حياة بولس الرسول مثالاً لها ، لابد وأن يكون كارزا للمسكونه وسفيراً للمسيح في العالم وبالتالي يجب أن يكون ، أول كل شيىء ملماً إلماماً واسعاً بتعاليم المسيحية الحقة .



في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم (مز١٩: ٤)

## أولا : صدر من سلسلة دراسات آبائية :

| العنوان | المؤلف |
| --- | --- |
| ١ـ الوجود شركة | للمطران يوحنا زيزيولاس |
| ٢ـ النعمة عند القديس أثناسيوس ( جزء أول) | دكتور وهيب قزمان |
| ٣ـ مقدمة فى علم الآباء | دياكون مجدى وهبه صموئيل |
| ٤ـ الروح القدس عند الآباء | أعمال مؤتمر الدراسات الآبائية (لسنة ١٩٩٣) |
| ٥ـ الافخارستيا عند القديس كيرلس | للدكتور موريس تاضروس |
| ٦ـ النعمة عند القديس أثناسيوس (جزء ثانى ) | دكتور وهيب قزمان |
| ٧ـ تعاليم آبائية فى موضوعات روحية واجتماعية | للبروفسور خرستوس كريكونيس |

## ثانيا : سلسلة نصوص الآباء :

٢٦ : تفسير انجيل لوقا ( الجزء الأول ) ـ للقديس كيرلس الاكسندرى

٢٧ : عظات القديس مقاريوس الكبير ( طبعة ثانية منقحة )

٢٨ ـ م٤١ : الاشتياق الى الله ( تفسير مزمور (٤١ ) لديموس الضرير

٢٩ : تفسير انجيل لوقا ( الجزء الثانى ) للقديس كيرلس الاسكندرى

٢٨ ـ م٢٢ : الرب يرعانى ( تفسير مزمور ٢٢ لديديموس الضرير

٣٠ : أوريجينوس ـ عظات على سفر العدد

٣١ : الروح القدس ـ للقديس أثناسيوس

٣٢ : المقالة الثالثة ضد الآريوسيين ـ للقديس أثناسيوس الرسولى

٣٣ : شرح انجيل يوحنا ـ الجزء الثانى للقديس كيرلس الاسكندرى

**يطلب هذا الكتاب من :**

+ مركز دراسات الآباء ت : ٢٤١٤٠٢٣ ـ ٦٣٨٩

+ المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم